

الفصل الخامس

موازنات

وكدنا في هذا الفصل أن نوازن بين بعض القصائد لثلاثة الشعراء العقاد وشكري والمازني ، وقد قصرنا الموازنة على القصائد التي اتفق فيها الشكل والموضوع ، مرتين أن هذا الاتفاق مما يرشح لهذه الموازنة ويزكيها ، وسنحاول - بشكل عام - أن نبين معدن الشاعرية لكل منهم من خلال تحليلنا لهذه النماذج المختارة ، وليس حكمنا في هذه القضية بالحكم القاطع ، وإنما هو حكم تقريبي من قبيل اقتباس الكل على البعض ؛ وبخاصة إذا عرفنا أن الاشتراك في الموضوع والشكل في هذه القصائد ، وأن تداولها بين الأصدقاء مما تأرن إليه القرائح ، ويتوخى فيه الإجابة ما أمكن ، ولسنا مغفلين على كل حال قراءتنا لأشعار الثلاثة كلها ، ومن هنا سيكون حكمنا التقريبي حكمًا له ما يرفده من استمداد شامل لكل أشعارهم .

وقد قصرنا هذه الموازنات على بعض القصائد ، وليس كلها ؛ لأن إرادة الكل تخرج بنا عن نطاق هذه الدراسة ، وتحتاج وحدها لرسالة مستقلة ينهض بها من يتوخاها ، فضلاً عن أنها غير موضوعية ؛ لأن أحدهم - هو المازني - كف عن الشعر قبل زميله بوقت طويل ، على حين ظل صديقه يكتبان إلى آخر لحظة في حياتهما - وبخاصة العقاد - فماذا نأخذ وماذا نطرح . وإذا كان لا بد من أن أخذ ، فمن الإنصاف أن نقصر هذه الموازنات على ما كان فيه اشتراك بينهم كالحالة التي معنا .

وبطبيعة الحال - والدراسة عن المازني - سنختار القصائد التي كان المازني طرفًا فيها ، وسوف نضرب صفحاتنا عما جاء في كتاب «رسائل النقد» لرمزي مفتاح من اتهامات للعقاد والمازني بشأن سرقتهم من شكري ، فإن الكتاب كله تحت مستوى المناقشة ، لما فيه من أكاذيب لاتخفى ومن تدل لايحتاج إلى إيانة ، وقد قلنا هذه

الملاحظة فى فصل سالف ، وقد أيد هذه الملاحظة رجل شديد النعى على العقاد والمازنى ، وبين أكاذيب رمزى مفتاح وفنדהا ، ومن هنا نجيء قيمة هذه الملاحظة وقدرها (١) ، وإن كان هذا الدارس لم يخل من تجن وبخاصة على العقاد .

أولى القصائد التى نقف أمامها هى قصيدة «أحلام الموتى» وقد بدأ بنظمها العقاد وأرسلها لكل من المازنى وشكرى ، فعارضها كل منهما بالوزن والروى ، وهناك شاعر آخر هو على شوقى ، نظم قصيدة فى وزنها ورويتها وموضوعها ، ولكنها ليست بسبيلنا (٢) .

والقصيدة تمثل حالة نفسية قلقة كانت تعترى هؤلاء الشبان فى مطالع حياتهم ؛ لأنهم يلوذون بعالم الأجدات فراراً من الحياة الخائفة ، التى تشل حركتهم وطموحهم «فإحساسهم المفرط بما يكتنف الحياة من مظالم وشروء وآثام ومعاناتهم الواعية للمتاعب والعقبات التى سدت الطرق إلى ماكانوا يرون أنفسهم جديرين به من مجد ، ومقاساتهم الشديدة لألوان من الاضطهاد التى وصلت أحياناً إلى درجة المحاربة فى الرزق . . كل ذلك كان المصدر الأول لهذه العواطف المفعمة بالأسى ، المليئة بالمرارة ، الجياشة بالحزن والضيق الذى يبلغ أحياناً حد اليأس (٣) .

ولست هذه القصيدة بدعاً بين قصائد هؤلاء الشعراء ، فإن لهم قصائد أخرى كثيرة ظهارتها هذا الإحساس المتوفز بالألم الملىء بالمرارة والقنوط ، فما يقال هنا عن هذه القصيدة يقال عن أخوات لها .

بدأ العقاد قصيدته بأن شمس هذا العمر ستغرب يوماً ما ، ويغمض ناظره ليل الحمام ، وتساءل هل يسرى إلى قبره خيال من الدنيا يحمل إليه أبناء الأنام ، واستطرد مع تخيله هذا متسائلاً : هل يسامره طيف من يهوى ويؤنس وحشته ترجيع هام ، ويحلم بالزواهر والزهر المنور والغمام ، وهى أشياء حرم منها فوق الثرى ، ثم أحس أنه أسرف فى الأمانى وأبعد فى الأحلام فتمنى أن يورق الورد

(١) راجع ماكتبه مصطفى عبداللطيف السحرتى فى كتابه «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» ، ص١٧٢ ، ومابعدها .

(٢) لأننا نوازن بين ثلاثة الشعراء العقاد والمازنى وشكرى فقط ، باعتبارهم رواد اتجاه واحد .

(٣) تطور الأدب الحديث د. هيكل ، ص١٦٢ .

فوق جدته فتعقب عظامه من نوافحه ، ويبسم فى أزاهره للدنيا التى لها عبس فوق الرغام .

حالة من اليأس القاتل التى تعترى الشبان وطموحهم ، فيكثر من بين صفوفهم من يتشاءمون ، لأنهم يرون أن الحياة لاتواتى وإمكاناتهم المسرفة فى الطموح ، المفرقة فى الأحلام ، ولعلمهم يصيحون بقول شيخ المعرة :

إذا الفتى ذم عيشاً فى شببيته فما يقول إذا عصر الشباب مضى

ثم تنهه الأيام من طماحهم ، وتكفكف من غلوائهم فيركنون إلى شىء من المصالحة للحياة ، ومن هنا يتقبلونها ببسمة ساحرة مستخفة لمن تتهياً لمزاجه السخرية والاستخفاف كالمأزنى ، أو بالجد الصارم والرضى العقلى لرجل كالعقاد ، أو بالاستسلام والقنوط لرجل يرشح مزاجه لهذا كعبد الرحمن شكرى ، فكل واحد منهم راض الأزمة كما راضته ، ونفضها عن نفسه بالطريقة التى تنهض بها نفسه ومداركة .

وقد جاءت أبيات العقاد يضح منها مايزيغه من الحياة ، وهو محلاً عن مواردها، يريد فلا يجد ، ولايصادف عزاء غير الفىء إلى وادى الأحلام الذى اتخذ مسرحه القبر ، واستهل القصيدة بجملته تحمل ماتحمل من أسى شديد :

ستغرب شمس هذا العمر يوماً ويغمض ناظرى ليل الحمام

واختتمها أيضاً بمفتاح الحالة كلها حيث يقول :

وأبسم فى أزاهره لدنيا عبست لوجهها فوق الرغام

فالبسمة المقهورة هى سر هذه القصيدة ^(١) ، وقد جاءت القصيدة تحمل فكرة واحدة ينتظمها خيط شعورى واحد لاتحس فيه تنوءاً ، وساقو الفكرة تعبير بسيط سهل لاشىء فيه من غرابة إلا كلمة «الهام - الرغام» ولابد من فهمها لأن قارىء الشعر - عندنا - يحتاج إلى أن يبذل جهداً يوازى جهد الشاعر أو يقاربه والصعوبة

(١) القصيدة بديوانه ، ص ١٠١ .

اللغوية لاتمثل شيئًا ، ودعك مما يتباكى عليه العوام وأشباه العوام .

ورد المازنى على قصيدة العقاد بقصيدة تحمل العنوان نفسه ، وتضم فكرتين رئيسيتين متأزرتين : الفكرة الأولى هى فكرته عن القبر والموت ، وكيف أنهما مجيراه من وحشة العيش الجهام ، والفكرة الثانية أمنيته الخاصة بالعيش فى القبر - إن صح التعبير - وفساد هذه الأمنية لأنه :

إذا ما الموت رنق فى جفونى وبات بكفه يومًا زمامى
فما يغنى خيال من حبيب يزوك بالتحية والسلام
وكيف يصد عنك وأنت حى ويمسى واصلاً لك فى الرجام

والفكرة الأولى بها من وثبات الفكر والتعبير شىء جيد ، قوله مثلاً :

وماطاف الكرى بالعين إلا ليفتحها على الكرب العظام

والثانية أمنيته الخاصة - كما قلنا - لايشاركة فيها سواه لأنه كما قال العقاد «لو كان خلق الدنيا لما خلقها إلا جبالاً عظيمة وكهوفاً جوفاء ورياحاً مدوية ، وغماماً مرزماً رجاساً وبحراً مصطخباً عجاجاً (١) ، ولايخدعنك ماتراه من سقيا السحاب لدى شعراء العرب لقبور موتاهم - والماء يحمل لهم شيئاً كثيراً - فتقول إن المازنى متأثر أو مقلد لهؤلاء الشعراء ، لأنها لدى المازنى طريقة خاصة مطردة فى شعره الكثير ، وكأنه يهتبل هذه النهزة كيلا تفوته . . فيصف هذه الأشياء التى ذكرها العقاد ، يتحدث عن أمنيته الغريبة فيقول :

أجنونى إذا مامت رمسًا ينادمنى به خضل الغمام
ترقرق عنده غدران ماء على ضفاتها أثر الهوامى
تغنيني الحمائم فى ذراها وقد هب النسيم مع الظلام
تذكرنا ليالينا ، وكانت مسلسلة البشاشة فى نظام

(١) مقدمة ديوان المازنى ، ص ٢٢ .

وليس بعجيب أن يصف المازنى قبره وأن يتحدث عن الموت ، فإن هذه الأشياء مما تطيبه ، وتأخذ بعقله ، وتستولى عليه لا يستطيع التفلت منها والقصيدة فى لوحتين متآزرتين ، حملتا الشاعر على الاقتناع بما جاء فيهما من أفكار لأن وراءه صدقاً شاع فى كلماته ، وجاء التعبير فى عمق وبساطة ، وجزالة سهلة إذا ألم القارئ ببعض الكلمات ، التى يظن أن بها غموضاً مثل «كلوء - الجهام - خصل - الهوامى - الرجام» ، وهى كلمات تفضى بمعناها فى السياق قبل استشارة المعاجم ، ومثل هذه الكلمات لا يقال إنها صعبة عن متناول القراء العاديين إذا أراغوا الفهم ؛ فالسياق الذى أوردها فيه المازنى يكاد يشف عن معناها بل يحدده ، ومراجعة الكلمات فى أبياتها دليل على مانوم . ولا تريب على صاحبنا إذا اشتكى خفاف القراء صعوبة من مثل هذه الكلمات .

وقد اشتملت القصيدة على تعبيرات بالصورة الذكية الموحية ، التى تستقصى أطراف المعنى فى نسق كامل ، ويكفى أن نقرأ صورة قبره ، التى رسمها فى أربعة الأبيات المتقدمة (١) .

أما قصيدة شكرى فتبدأ بالرد على العقاد وتساؤلاته ، وتشم منها ربح القنوط التى تهوى بشكرى هويًا ، يقول :

تسائلونى عن الموتى وإنى ربيب الموت فى هذا الأنام

ويتفرع عن هذا افتراضات ذهنية يغلفها الغموض ، ولانكاد نحس وراءها شيئاً من وهج عاطفة ؛ لأنها احتجاجات منطقية صرفة لاعمل فيها إلا للذهن :

ولو بطل التساؤل مريضنا بعيش مثل أحلام الأنام

وأحوال كآراء السكرارى إذا دببت بهم خدع المدام

ولو بطل التساؤل مريضنا بما يلقي المغيب فى الرجام

وبعد هذه الاستدلالات العقلية التى لا تقدم نمواً للعمل الفنى ، يتحدث الشاعر عن تأثير الشعر فى احتمال الحياة والموت ؛ بسبب ما فيه من خيالات وأحلام :

(١) القصيدة كلها فى ديوانه ، ص ٣٩ .

وكم فى الشعر من حلم لذيد يعين على حياة أو حمام
فزهـر الروض أو زهر النجوم ووجه البدر فى سـجف الظلام
نزين به الممات وقد خلونا به فى العيش أيام الغرام

والشاعر صادق فى رأيه فى الشعر ونظرته إليه ، لولا أن فى التعبير ضعفاً وتهافتاً يحسه من يدرك التعابير الجيدة ويقف على أسرارها ؛ فالبيت الثانى فى ثلاثة الأبيات هذه لاشئ فيه غير السرد الضعيف ، والتركيب الركيك ، وقد وقع الشاعر فى خطأ عروضى فى كلمة «زهر النجوم» ؛ لأنه لايقف بالحركة على الحرف الأخير فى عروض البيت ، وكان من الممكن أن يسمح بهذا لو كان قبل الميم ألف مد ، فيعد من التصريح فى تلك الحالة وهو مما يزيد الكلام بها ، حين يتكرر فى ثنايا القصيدة بشرط ألاكثر .

والجزء الأخير من القصيدة هو الذى نستطيع عده شعراً جيداً ، رغم المنطق الذى يوشحه لأنه المنطق الشعورى ، ولأنك تحس فيه بروح شكرى ونفسيته القلقة التى يساورها حزن دفين وألم ممض :

وكان العدل أن نرضى بموت فلا طيف يساعـد باللمام
أليس الكون أكبر منك شأننا وأولى بالمقـادر والنظام
خذ الموت المحلى بالأمانى وبالأحلام تطرق فى الظلام
ودع لى ميتة لاحلم فيها فما أخشى وقد هدأت عظامى
ولكن التخيل ماء رى حلال أن أبـل به أوامى

ويبدو أن شكرى حين أرسل قصيدته للعقاد كان فيها «وكان النصف» بدل «وكان العدل» ، ونحن نميل إلى كلمة «النصف» بدل «العدل» ؛ لأن الأولى غير مطروقة ؛ مما يجعل لها بعداً يوشح الأذهان على حين أن الثانية ابتذلها كثرة الطراق ، ونجد أن نفس شكرى التى أمضها الألم والقنوط ، وصوحت أمانيتها تنضح فى البيت الذى قبل الأخير نضحاً ، وقد تكرر هذا المعنى لدى شكرى

كثيراً؛ وبخاصة في قصيدته «حلم البعث (١)» .

فنحن أمام ثلاث ذوات في هذه القصائد الثلاث ، لا يغيب منها وجه في طوايا الآخر «لأنه يمتاح من ذاته هو رغم وحدة الموضوع ووحدة الشكل» ولكن الثلاث القصائد نبعت من بئر حزينه ، احتجنت موارد الحياة أمام أصحابها واضطربت أرشيتهم ؛ فأووا إلى أحلام الموتى عليهم يجدون فيها تأساء ، مما يأخذ بأكظامهم في صحراء الحياة ، ونجد أن كل واحد منهم عبر بطريقته وصدق مع نفسه ، وإن كنا نميل إلى ترجيح قصيدتي العقاد والمازني لما فيهما من إجدات في الفكر والتعبير مع الوضوح والبساطة .

والقصيدة الثانية تهج نهج القصيدة السابقة ، وتنزع منزعها ، وموضوعها النفس الشاعرة التي تحلق بأصحابها حين تصفدهم أغلال الجسد ، وكيف أن هذه النفس تضرب حول أصحابها سجنًا من الغربة التي لاتطاق .

أرسل شكرى لكل من صاحبيه قصيدة بعنوان «ثورة النفس» من القافية المزدوجة، ورد عليه كل منهما بقصيدة من قريبا تحمل العنوان (٢) نفسه .

بدأ شكرى قصيدته بيت استعمل في أول تفعيله منه زحاقًا يسمى : «الخرم» ، وهو حذف أول الوند المجموع «فعلون» تصير «عولن» ، وقد سوغه العروضيون ، واستشهدوا له بأبيات كثيرة ، وفي رأينا أنه غير مستساغ ؛ وبخاصة حين يسبب خلطًا بين الطويل والكامل ، وقد نجا شكرى من هذا الشرك ، وإن كان قد وقع في شرك آخر هو النثرية المعيبة ، يقول :

(و) للنفس في بعض الأحيان ثورة يكاد لها جسم الفنى يتمزق

فكلمة «في بعض الأحيان» ليس فيها من الشاعرية شيء ، ومسألة النثرية ليست معيبة في كل حال . . فإن الشاعر أحيانًا ينتشل بمقدرته بعض التعابير النثرية من وهدهتها فتحس إزاءها أنها خلقت خلقًا جديدًا ، وليس من هذا الطراز عبارة

(١) راجعها في ديوانه ص٢٤١ ، والقصيدة التي معنا في ص١٥٢ ، ١٥٤ .

(٢) قصيدة شكرى بديوانه ص١٦٩ ، ١٧٠ ، وقصيدة المازني بديوانه ص٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، «وقصيدة

العقاد بديوانه ص٣٤٤ ، ٣٤٥ .

شكرى هنا ، ومن العبارات النثرية المعيبة عنده أيضاً قوله :

سأبذل جهدى فى تعلم رقصة لأرقصها إن الحوادث تطرب

ففى البيت نثرية وركاكة تضح فى «سأبذل جهدى» ، والمشكلة عند شكرى - فيما نرى - أنه يرمى شعره حلق الزمان ، ولايبست منه على وهم وبلبال ، فيستسلم لأول بادرة من بوادر النظم ، ولايعاوده ويراجعه ، وإنما يهضب بالشعر ولعله فى ذلك معذور ؛ لأنه جاء فى وقت كانت الإجادة فيه متعلقة بحسن الرصف والحوك ، ولكنه مشى فى الشوط إلى غايته فأهمل الصياغة إلى حد ما ، ونسى أن الشاعر أدواته الألفاظ ، ولابد من جودة العبارة كى تنهض بالمعنى الذى يؤمه ، ولكن لشكرى إجادات تسلكه فى عداد الكبار ، وهذه الهنات ليست مما ينقص من سموق فنه وعظمته .

موضوع قصيدة شكرى - كما أشرنا - هو عذاب النفس الشاعرة ومحاوره مع هذه النفس ، وكيف أن اليأس يعصف بها ؛ لأن الجسم ليس فى ذرعه أن يحلق معها ، ويشتعلم مثلها يقول :

تريدين أن الجسم يغدو كأنما يضيء به منك الضياء المحجب

إذا لأراقت كل نفس ضياءها على ظلمة للعيش ، والعيش غيب

وبلغ مبلغاً عظيماً فى جودة التعبير ، فيقول مثلاً :

رضعنا من اليأس الصريح لبانه وكان وكنا فى بطون الحوامل

فما أمل فينا سوى صنو يائس وما يائس منا سوى صنو أمل

ويضع يده على كمين الداء ، ومبتعث هذه الثورة ، فيقول :

فلاتعدلونا ، دهركم غير دهرنا فإننا علقنا بالبعيد من المجد

وهذه هى الشكوى الخالدة ، ونحسب أن هذه النفوس لاتطيب لها الحياة مطلقاً لأنها من معدن غير معدن الأوساط والدهماء ، الذين يرضيهم المأرب الرخيص . ولاينظرون إلى أبعد من أنوفهم ، أما أولئك فمهما نالوا مأربهم فسوف تبقى كما هى لأنها متعلقة بالمجهول البعيد منوطة به . وقد أجاد شكرى التعبير عن هذه

الشكوى الخالدة ، وجاء تعبيره مقنعاً متعدد النغمات مابين حقيقة وتصوير ،
واستغل الحوار مع نفسه بذكاء ليقدم غمواً واطراداً فى القصيدة ، يقول مثلاً :

هياج كما هاجت قطاة تعلقت بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب
أما فى سكون الليل يانفس واعظ أما فى هدوء الليل ملهى ومطرب
فهل تحسبين نائماً كل ساكن وهل تحسبين ميتاً كل هاجع
نعم إن للشلال روعاً وهيبة ورب جلال للعواصف رائع

وهكذا تسير القصيدة فى مستوى جيد من روعة الفكر والتعبير والتصوير ، وإن
كان البيت الذى أوله «هياج» يذكرنا التشبيه فيه بتشبيه قديم :

كأن القلب ليلة قبل يغدى بليل العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه ، وقد علق الجناح (١)

وإن كنا نرى - إنصافاً للحقيقة ولشكرى - أن مثل هذا التشبيه من التشبيهات
الخالدة التى يستوى لديها المتقدم والمتأخر ، وهم كل واحد أن يسبغ عليه ثوباً
خاصاً به .

قصيدة العقاد تأخذ طريق شكرى ، ويقول لشكرى فى أولها :

شكوت الذى أشكوه فاعلم بأنى وجدت من الأيام ما أنت واجد

وموضوعها موضوع قصيدة شكرى عذابات النفس - كما قلنا - وغربتها بين
خلق يخطئ المرء فى الاستفهام عنها بمن ، وقد تعددت النغمات عند العقاد ما
بين تصوير مشع موح ، وحقيقة ترفدها نظرة فاحصة للكون والحياة ، وقد التقى مع
شكرى فى بعض المعانى ، ولكن كل واحد عبر عنها بطريقته الخاصة المتميزة ، مثل
قول العقاد ، وقد وقع على معنى شكرى «قطاة» :

أهابت بنفسى وثبة بعد وثبة كما نهض الرئبال لم يرأم الأسرا
وقد روضتها الحادئات فأخلدت إلى القيد ، حتى ماتهم به كسرا

(١) ديوان الحماسة ١٠٩/٢ .

ونحن نرى أن تشبيه النفس المقيدة بالأسد المأسور أَدعى إلى احتضار القوة المقهورة والعظمة المغلوبة منه بتشبيهاها بالقطاة الواهنة ، ونفس العظيم من الأولى أن تشبه بما قال العقاد ، ويبدو لنا أن كلاً منهما صادق مع تصوير نفسه؛ فانطوائية شكرى وحزنه الواصب مما يرشح لهذه الصورة التى أتى بها وتمرد العقاد وجبروته مما يناسب الرئبال المأسور . وقد زاد العقاد فى البيت الثانى حتى ارتأى أن الحوادث روضت نفسه إلى الإخلاق للقيد ، حتى ماتهم به كسراً . وهذا من قبيل رصد الواقع الشعورى والواقع الحسى للنفس الإنسانية ، وهذا هو ما قصدناه من قولنا «حقيقة ترفدها نظرة فاحصة للكون والحياة» ومن هذا النسق قوله :

عجيب من الدنيا توالى صروفها وأعجب منه حينا لدوامها
هو العيش داء والنفوس مريضة ولكنها تأبى شفاء سقامها

وتلتقى به مصوراً بارعاً يكمل جوانب الصورة ، ويروعنا منه وقوعه المباشر على كبد الحقيقة ، يقول - دون ترتيب - :

وكان خيالى فى السماء محلّقاً فهاض جناحيه الزمان المفرر
إذا استل منه ريشة بعد ريشة جرى دمه فى إثرها يتحدر
يلذ لنا مطل الرجاء كأنه حبيب يروق المطل منه ويعجب
ونعرض عن صدق القنوط لأنه عبوس المحيا شاحب الوجه أشيب
فياويح للنفس التى يكبرونها وأكبر منها فى البقاء الجوامد
أيشعلها قوت ويطفئ نارها نسيم سرى من عالم الموت بارد

إلى أن يأتى إلى سبب الأزمة كلها ، وهى أن النفس من معدن غير معدن الجسم ، وهيهات أن يصبحا متماثلين ؛ لأنه ليس من طبائع الأشياء أن يتماثل اثنان ليس بينهما تماثل ، يقول :

ولو أن بالإنسان جسمًا كروحه وكان سواء بطشه ومواهبه
لنادى الضحى قف يانهار فلم يسر ونادى الدجى هيا فسالت غياهبه

وإن كنا لانوافق الشاعر على «وكان سواء بطشه ومواهبه» ؛ لأن البطش والمواهب لا يحددان المراد هنا ، والمقصود أن يقول إنه يتمنى أن تستوى الإمكانيات والطموح أو الواقع مع المثل ، وهاتان الكلمتان لا يحددان ذلك ، فضلاً عن أن الشطر الأول أفضى بالمراد دون تطويل وحشو .

أما قصيدة المازنى فهى تنحو هذا المنحى ، بدأها بخطاب شكرى :

أخا ثقتي كم ثارت النفس ثورة تكلفنى ما لا أطيق من المض

وهل أنا إلا رب صدر إذا غلا شعرت بمثل السهم من شدة النبض

ولا يعترض على المازنى بأنه أخذ التشبيه من القدماء «بمثل السهم» ، فمثل هذه الأشياء مجرد رموز ؛ لأننا مازلنا حتى الآن نشبه بالسيف وهو ليس من الآلات الحربية الحديثة ، ولكن بعض الكلمات أفلتت من إसार الزمن لتكون مع حياة الإنسان فى أى زمان ، وبعد هذين البيتين بيتان آخران ، سبق الحديث عنهما فى فصل «أصالة المازنى» .

ونحن لانجارى المازنى فى بيته اللذين يقول فيهما :

أدور بعين حير العيش لحظها وأرجعها محمرة كالشقائق

كأن فؤادى بين سجو وترحة أديم تفريره أكف الخوالق

فاحمرار العين المحيرة اللحظ من الأسى والحزن لا يناسبه التشبيه بالشقائق التى تشير بهجة فى أغلب أحوالها ؛ فالجو النفسى مختلف ، فضلاً عن أن مجرد رصد الحمرة فى كل منها ليس بشيء مادام لا يرفده مدد شعورى ، واتجاه المازنى وصاحبيه يرفض مثل هذه التشبيهات ، التى لاتتعدى الشكل الخارجى ، ولو كان حافظ صاحب هذا التعبير لهاجمه المازنى وعابه عليه . والبيت الثانى معيب أيضاً لما فيه من نظرة إلى القدماء «أديم تفريره أكف الخوالق» وكلمتا «سجو وترحة» غير محددتين فى مرادهما تماماً فى هذا السياق ، ولكن القصيدة بها بعض الصور التى تشى بجديتها ودقتها ، وهى لاتخرج إلا من عالم المازنى يصف قلبه فى صورة لاتملك أن تغير كلمة إلا غيرت المراد ، يقول :

أبيت كأن القلب كهف مهدم برأس منيف فيه للريح ملعب
أو انى فى بحر الحوادث صخرة تناطحها الأمواج وهى تقلب

ويقول فى صورة محبوكة جيدة ، وقد تكرر نظيرها فى قصيدته «أحلام الموتى»
يقول هنا :

إذا اغتمضت عيناي فالقلب ساهر يظل طويل الليل يرعى ويرصد
وما إن تنام العين لكن إخالها تدير بقلبي نظرة حين أرقد

ويقع على مكمن الأسى ، وكيف أنه للأحزان ضربة لازب ، فيقول :

سأقضى حياتى نائر النفس هائجاً ومن أين لى عن ذاك معدى ومذهب
على قدر إحساس الرجال شقاؤهم وللسعد جو بالبلادة مشرب

ويرد على صاحبيه ، وبخاصة شكرى الذى يرى عظة للنفس فى سكون الليل ،
فيشتق من ذلك معنى دقيقاً ؛ فيقول :

خليلى مهلاً بارك الله فيكما فما فى سكون الليل مسلاة واجد
إذا نار ما بين الحجابين والحشا فكل سكون يستشير رواقدى
وإن سكنت نفسى فليس بضائرى رياح تجر الذيل حولى وتعصف
فليس يضير الحوت فى البحر أنه يهيج ، وأن الموج يطغى ويعنف

والقصائد الثلاث من طبقة عالية فى الفكر والتعبير تمتعت كل واحدة منها
برصيد نفيس من الصدق الشعورى ، الذى رقد التعبير بحرارة صادقة أيضاً ، وتجذ
على كل قصيدة ملامح كل شخصية ، تكاد تفلت من أسر الحروف لتعانق
القارىء .

وفى رأينا أن مثل هذه القصائد أدل على روح العصر والحياة التى كان يحياها
أولئك الشعراء ، وهى تسهم لامشاحة فى طلب التغيير إلى الأفضل أكثر من
القصائد ، التى تحمل عناوين اجتماعية أو سياسية ، وكل ماهو من قبيلها ، ولت

يدرك هذه المزية والقيمة من يتباكون على الاجتماعيات والوطنيات ، وماهى - لو دروا - لو لم يسر بها روح الصدق وإلا عملة زائفة . . يروج لها مدلسة القول ومدلسة النقد .

القصيدة الثالثة موضوعها الغزل ، وقد اتحدت فى الوزن والروى ؛ مما يشعر أن ثمة اتفاقاً بين الثلاثة على تخير هذا النمط ، ولعلمهم قد أعجبوا بقصيدة الشريف ، التى يقول فى مطلعها :

من معيد لى أيامى يجزع السمرات^(١)

وهذا من قبيل الاحتمال فقط لأنه ليس لدينا دليل قاطع على تلك الإراغة ، ولأن الاتفاق فى الوزن والروى لا يكفى سبباً للمعارضة - وإلا حسبنا جزءاً ضخماً من الشعر العربى من قبيل المعارضات ، وهى ربما تكون غير مقصودة بل إن هذا ما يحدث بالفعل ، وقد وقفنا عند احتمال المعارضة لأن هناك إعجاباً من الثلاثة بشعر الشريف الرضى ؛ وبخاصة من المازنى .

قصيدة شكرى بعنوان «ياوضىء البسمات» وقصيدة العقاد بعنوان «كأس على ذكرى» وقصيدة المازنى بعنوان : «كل يوم لى شكاة»^(٢) وقد ادعى رمزى مفتاح أن قصيدة العقاد آفة الذكر مسلوبة من قصيدة شكرى فى وزنها ونظامها ومعناها وأن قصيدة شكرى كتبت قبل قصيدة العقاد بأزمان طويلة ، وجذب عليها الدهر ذيل النسيان فمسخها العقاد وادعاها لنفسه^(٣) ، ولكن مصطفى السحرى فند هذا الزعم تاريخياً لأن قصيدة العقاد فى الجزء الثانى من ديوانه الصادر عام ١٩١٧ ، بينما توجد قصيدة شكرى فى ديوانه السابع الصادر عام ١٩١٨ ، ورغم هذا يعود السحرى ليشكك فى هذه الحقيقة التاريخية مرتبياً أن شكرى ربما طوى القصيدة ولم ينشرها فى إبان نظمها ، ويوغل الدارس فىرى أن قصيدة العقاد تنجلي فيها المحاكاة فى البنية والمعنى ، ويذهب أبعد من ذلك فىرى أن الفكرة التى دارت

(١) ديوانه ١٥ / ٢١٧

(٢) القصائد الثلاث موجودة بالذواوين ص: ٥١٥ ، ١٤٩ ، ١٢٩ .

(٣) راجع رسائل النقد لرمزى مفتاح ، ص ١٠ ، والشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرى ، ص

حولها بعض معانى القصيدتين من وحى شكسبير فى روايته تاجر البندقية ؛ حيث تقول شخصية فى الرواية «أحبك ياباسانيو راضياً وغازباً» وربما كان شكرى أو العقاد استولدها وتوسع فيها بالفكرة مسبوقه ، أما الصياغة وتمائل القصيدتين فى البحر والقافية ، فهذا ما يدعو إلى التأمل والعجب (١) .

والحقيقة أن الدارس كان منصفاً فى بعض رده على رمزى مفتاح ، إلا أن كلامه لا بد أن يؤخذ بحذر شديد نظراً للظروف والملابسات التى كانت قائمة ، فالسحرتى - وهو نموذج لطائفة معينة - يناصر شكرى لاحقاً فى الحقيقة وإنما بغضاً لصاحبيه ، وحسبك أنه لم يطق إنصاف العقاد حتى نكص ليسلبه ما أعطاه، وهنا تردى فى كلام ساذج ، فشكرى والعقاد يقولان للمحبوب إننا نهواك فى صدك ووصلك كما يقول شكسبير تماماً ، آفة النظر والتطبيق وراء هذا الكلام الفج ، فمثل هذه العبارة متداولة حتى فى الأغاني العامية !!

قصيدة شكرى تمتاح من معين الحرمان - إذا صح أن للحرمان معيئاً - وتبدأ بأمنية بعيدة ؛ إذ يقول :

ياوضىء البسمات وحىي الوجنات
ليت لى منك ائتلافاً كائتلاف الوجنات

ولكننا نحس أن القصيدة بعامة - وإن كان موضوعها الغزل - ليست تخاطب شخصاً معيئاً ، ولكنها تخاطب مخلوق الخيال ، تشعر فيها بلذعة الحرمان ، ومرارة الفقد ، وقد خلت من الحرارة اللافة التى يلهبها شخص حقيقى يصد ويصل ، ويسخط ويرضى ، وليس معنى هذا أن الشاعر غير صادق فى لهفته ، فإنه صادق فى إحساسه بالحرمان وصادق فى التعبير عنه ، ولكننا نحس - كما قلنا - بقله الحرارة التى ينفثها حب حقيقى ، ومما يؤيد هذه الحقيقة أن الشاعر يستعيض عن الواقع بأحلام الخلود :

إن يكن حىبى خلدأ أعطنى خلد الممات

(١) راجع هذه القصيدة فى الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، ص ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

وأرحنى من خلود الشـجـو مـو فـو الأذـة
إنما الخلد نـجـاء النفس من و خـز الشكـة
وقد جره ذلك إلى الاستطراد فى بعض المعانى بغير مقتضى فنى ، وبغير أن
يضيف زيادة :

إن حـبى ، درة تجلو دياجى الجـفـوات
إن حـبى مثل حب الله غـفـرانا لعـاتى
كـيف تلحـانـى على حب به تبلو أناتى
إنما الحب ضـيـاء من صبيح الصفحات
تبـعث الحب إلينا كـاتبـعات اللحظات

فمثل هذا الاستطراد ما أضاف نمواً للقصيدة ، ولا يعدو أن يكون إلا تكراراً
وتقريراً جافاً ، ولكنه أحياناً يستطرد بإضافة جديدة جيدة ، يقول :

أه لو تألم أخذ الدهر من زاهي الشـيـات
وترى حسنك نهـبـا للخطوب المقـبـلات
وترى آثار أقـدام الصـرـوف الدالـفات
وترى الأرض كأنها فى العـصـور الخـالـيات
وترى الأرض كأنها فى العـصـور القـادـمات
لا ترى للحسن إلا الحب فـرض الفـرـصات
فتـواتـينى بعطفك منك يجلو حـسـراتى
لا يرى القـسـوة ديناً غير قن الغـفـلات

فيها تصويره المعنويات وخلعه عليها صفات حسية ، تريك المعنى مجسماً
ورؤيته الذكية لصورة الأرض فى العصور الخاليات والقادمات . وإن كنا نرى فى

قوله «لاترى للحسن إلا الحب فرض الفرصات» ضعفاً وركاكة ؛ لأن كلمة «فرض الفرصات» لم تضاف جديداً فضلاً عن تهافتها ؛ لأنه يريد أن يقول لاترى للحسن إلا الحب ، ولكنه اضطر للحشو غير المقبول لإتمام الشوط .

ومما يؤيد مذهبنا إليه من الحرمان ، وأن القصيدة فى مخلوق الخيال ، قوله فى نهايتها :

ولئن خاتلنا الحب بغض القسّمات
فلعل الموت مكذوب كتلك الخدعات
ولعل الحب يجزى صالحاً بعد الممات

وإن كنا نرى فيها نظرة صائبة دقيقة لمظاهر الحياة والموت ؛ لأن كل ماتقع عليه العين ويفكر فيه الذهن خيال . وفى القصيدة بعض اللفتات النفسية البارعة ، التى يقع عليها الملهمون من الشعراء ، يقول شكرى :

أنت عنوان لما أنشده فى الخطرات
كل كون كان أو لم يك من ماض وآتى
فيك لى منه أمانى النفوس الساميات

وينظر إلى محبوه نظرة حزينة ، ولكنه يصوره فى صورة جميلة ؛ إذ يقول :

أنت كالضوء ، وهل يرضى الأكف الناشدات
إن تخل دمعى نجومى فى لىالى الجفوات
فاسر فى ضوء نجومى وائتنى فى الفلتات
أو تخل دمعى درا فادخر من عبراتى
أوجيب القلب ما قدر لى فى النبضات
لسوى عد الرزايا والهيموم الطارقات

وما أدق قوله وأبرعه «فى لىالى الجفوات» ، فإن دموعه مضيئة كالنجوم التى لاتلمع إلا فى اللىالى الحالكة كلىالى الجفوات النابغية .

والجزء الذى اتفق فيه مع العقاد ، والذى رأى فيه الدارس تشابهاً مع شكسبير ، قوله :

سألوا فى أى حال هو أحلى فى الصفات
قلت أحلى ماتراه فى حديث اللحظات
فإذا أرخى لحاظاً كان أحلى فى السبات
وهو أحلى منه إن فاه وأحلى فى الصمات
وهو أحلى ماتراه عاطباً باللفتات
وإذا صد فما أحلاه جهم النظرات
فإذا لان فما أحلاه طلق اللمحات
كل حال منه أشهى حالة فى الحسنات

فى هذه الأبيات نحس بتدفق النظم وسهولة التأتى ، وإن كنا لانوافق الشاعر على قوله «فى السبات» ؛ لأنها لاقيمة لها بعد قوله «فإذا أرخى لحاظاً» وهو الذى أمه الشاعر ، ولكن القافية أبحاثه قسراً إلى هذه الكلمة التى لم تزد شيئاً ، ومن هذا القبيل قوله فى غير هذه المقطوعة «إن حبى مثل حب الله غفراناً لعاتى ، فتركيب العبارة فيه ركة ، فاللام هنا أشبه بالعكاز ، ومثلها الكاف فى قوله : «إنما الخلد كقيد» فاللام والكاف هنا نشعر إزاءهما بحبسة فى النطق تمنع سيولة النظم ووحيه ، وقوله «وأرحنى من خلود الشجو موفور الأذاة» نجد العبارة الأخيرة من البيت عند المازنى ولاندرى أيهما سبق إليها ، وإن كنا لانعتد كثيراً بهذا السبق ؛ وبخاصة فى مثل هذه الكلمة البسيطة .

قصيدة العقاد نحس وراءها وهجاً وحرارة لانحسهما فى قصيدة شكرى ، وماذاك - فيما نحسب - إلا لأن قصيدة العقاد يرفدها حب حقيقى يشعل هذا الوهج وتلك الحرارة ، ولسنا نقول بهذا لنرجح الواقع على الفن ، فربما كان ثمة

قصائد ليس لها واقع خارجى وهى فى ذروة الفن لأن لصاحبها أو لأصحابها قدرة على التحليق والتخيل الخالق ، وربما كانت هناك قصائد لها صلة بالواقع ولا تسوى فتياً فى حقل الفن ، وإنما الذى نعنیه - بجوار القدرة الفنية - أن لقصيدة العقاد وهجاً وحرارة افتقدناهما عند شكرى وأرجعنا هذا إلى صلة القصيدة وصاحبها بالواقع ، وهذا على جهة الاحتمال لا القطع الصارم .

تبدأ قصيدة العقاد بالحديث عن الخمر ، وليس الحديث عنها تقليدًا لطريقة قديمة فى وصف الخمر واستهلال القصائد بها كما فعل أبونواس ، فإن تلك الطريقة النواسية تقليد فى كراهة التقليد ؛ لأنه ماصنع شيئاً إلا إبدال صورة بصورة - صورة الخمر بدل الطلول .

أما حديث العقاد عن الخمر فليس من هذا القبيل ، والخمر هنا ليست إلا ذريعة خالدة لإراغة السلو ، وستبقى - إذ صح لنا التنبؤ - خالدة لهذه المهمة وغيرها فى حياة الإنسان ، ولا جناح على العقاد ومن يأتى بعده أن يصف الخمر مادام منفعلًا بها صادقًا فى وصفها مرتينياً فيها سلوى وعزاء ، وهذا فهم صادق لحقيقة التجديد، التى ينادى بها العقاد وصحابه .

يانديم الصبوات أقبل الليل فهات
واقـتل الهم بكأس سميت كأس الحياة

ويستغرق هذا الوصف أربعة عشر بيتًا ، ولعل الخمر هنا رمز يتخذه الشاعر معبرًا للتعبير عما يريد أن يقول فى بعض هذه الأبيات :

هاتها كالقطر أو كالتبر أو كالجمرات
علنى أقبس منها نفسا يحيى مواتى
هى تاج للصماليك وكنز للمفائة
وهى فردوس لمن أفرد فى هذى الفلاة
وهى سكر العين باللون سنى للمحاحات

وهى سكر الأنف بالمطر زكى النفسحات
وهى فى الكأس وفى النفس أحب النشوات
عوض عما يؤاتى من هوى أو لا يؤاتى
إن فى الخمر لصحواً من خمار الحادئات

وصف جيد للخمر ، تجتليه العين سكر منظر ، وتستمتع به الأنف طيب مشم ، ويتشى بها المرء فى الكأس وفى النفس ، وهى فى آخر الأمر عوض عما يؤاتى أو لا يؤاتى «من هوى» وصحو من خمار الحادئات ، ولانستطيع أن نضيف شيئاً إلى وصف الشاعر إلا ماكان من قبيل نثر المعانى ، الذى يخل بروعة النظم .

وتدور الكأس مع المقطع الثانى وهو فى الغزل ؛ مما يشعر أن الخمر محور لهذا الجزء من القصيدة أيضاً ، فهى بمثابة الصورة الأم التى تلم حولها الصور الأخرى ، والحرمان الشديد وراء هذه القصيدة ، وتنفس الشاعر لا يكون إلا من خلال الخمر بما لها من امتداد تاريخى فى التراث موغل ، وبما لها من أفاعيل النشوة التى تكون صحواً من خمار الحادئات ، ولعلها هنا بمثابة الرمز أو البديل لهذا الحرمان الموحش .

وهذا الجزء الغزلى قمة فى الإحساس والتعبير ، وليس هذا من قبيل الكلام الإنشائى أو المبالغات الخاوية التى لايسندها نظر صحيح ، وإلا فبماذا نصف مثل هذا التدفق المركز ، وهذا الإحكام البليغ فى صورة من بحر الرمل المجزوء ، وقصار البحور تتطلب قدرة فائقة فى التركيز الشديد مع أداء المراد ؛ لأن إطار التفعيلات فيها لايحتمل حشواً وتطويلاً ، إذ إنهما يضحان فى هذا الإطار الضيق من البحور أكثر من وضوحهما وفى البحور ندحة وفسحة ، وللعقاد غرام - وبخاصة فى أخريات حياته - بمثل هذا اللون من البحور القصار ، ويمثل هذه القدرة الفائقة فى التعبير الموجز البليغ ، يقول فى هذه القصيدة :

هاتها ، واذكر حبيب النفس ياخير ثقتاتي
ودع التلميح واجهر باسمه دون تقاة
أترى نحرم حتى ذكره فى الخلوات
صفه لى صفه ، وماكان بمجهول الصفات
غير أنى أمتع السمع بحظ الحدقات
صفه فى عيني ، وماتعدو به وصف الأضاة
صفه فى قلبى لو اسطعت ، وترجم زفراتى
أترى أليق منه باصطياد المهججات
أترى أملح من خطرته فى الخطرات
أترى أصبح من خديده بين الوجنات
أترى أعدل من قامته فى الصعدات

أترى - على حد قول الشاعر - هذه السيولة وهذا التدفق البالغ فى الصياغة ،
وعدم وجود نتؤات تحتجن هذا التدفق وتلك السيولة وهذه الصياغة البليغة
المحكمة؟ ثم .. أترى هذه اللفظة البادية والحرارة اللافتة ، التى تجابهك بها هذه
التساؤلات ، ولاتركك تأخذ بأنفاسك حتى لاتفيق من خمار هذا التأثير الوحى ،
والتى تصور لك ملاحه الخطرات ، وصباحه الوجنات ، واعتدال القامات ، وقبل
هذا لباقة اصطياد المهجات ، التى لها ديب خفى فى أوصال النفس ، وقد أذكأها
ماجاها بعدها من ملاحه الخطرات .

وفى القصيدة بيت يصف فيه شعر المحبوبة ربما رأى بعض الناس فيه خروجاً
عن مذاهب العرب فى وصفهم الشعر بالسواد الفاحم ، وليس ثمة مثلبة على
الشاعر فى هذا الخروج ، وإنما المتابعة والاقتياس الخروج والمثلبة ، فالشاعر هنا
يصف محبوبته هو لامحوبة امرىء القيس ولا البحترى ، ومن بدهيات الأمور أن
يصف مايراه هو وما أحسه لا ما رآه قبله الأقدمون . فشر محبوبته ليس أسود

فاحمًا ، وإنما هو أصفر مثل الذهب ؛ ولذلك قال :

ذهبي الشعر ، ساجي الطرف حلو اللفتات

ثم يكرر العقاد ما يعد بمثابة المفتاح السحري ، وهو قوله «هاتها» :

هاتها ، باسم حبيبي قاتل الله عداتي

آه لو تعلم ماذا في اسمه من عزمات

أترى الأحرف فيه غيرها في الكلمات

هاتها عشرًا وكرر وصفه العذب منات

صفه غضبان وصفه لاعبًا بين اللدات

ضاحكًا كالصبح يجلو بالضياء الظلمات

صفه في كل كساء ، صفه في كل الجهات

هو في الروضة إذ يمشى أحب الزهرات

وهو في القفر رياض من هوى لامن نبات

تم والله فييأليت به بعض الهنات

تم حتى أتعب العين بفرط الحسنات

إن بعض العيب حلي للسجايا والسلمات

في هذا الجزء إبداعات جيدة وبخاصة اسم الحبيب وما فيه من عزمات ، وكيف أن الأحرف فيه غيرها في الكلمات ؛ مما يوضح التقاط الشاعر للأشياء البسيطة القريبة التي يمر الأغرار بها غفلاً ، واستطاعته أن يفجر فيها طاقات فنية خصبة ، ثم تأمل المحبوب الذي هو في القفر رياض من هوى لامن نبات ، وكيف يصنع هذا الاستدراك صنعه في النفس ، ثم عبر الشاعر عن تمام حسن المحبوب في أبيات ، تشي بالحسرة واللهفة :

تم والله فيـاليت به بعض الهنات
تم حتى أتعب العين بفرط الحسنات

وبالطبع هو يتمنى للمحجوب المزيـد من الحسنات ، ولكنه لحرمانه منه يتمنى له بعض الهنات ، وهذا التمنى دليل على حبه الشديد وكلفه الزائد ، وقد ختم المقطوعة بيت فيه تأمل وحكمة ولكنه مستمد من أبيات قبله ، ومن هنا لا يكون زيادة تقطع سلسلة الاتصال الموجودة بين الأبيات «إن بعض العيب حلى السجايا والسمات» .

ثم يختتم العقاد القصيدة بالحديث عن الوشاة، وكيف أنهم أفسدوا عليه المحجوب، كل ذلك في تأمل دقيق لنفوس البشر، وتنتهي الأبيات بصرخة شديدة ولهفة حارة للخمر، ويغرق فيها حسراته:

ما به - والله - من صد، ولا منع صلوات
غير أن الناس لا كانوا تناهوا في الأذاة
ويلهم يحمون مالم يملكوا من طيبات
علموه - وهو لا يعلم - ما كيد الغواة
ليتنى علمته الوصل، وتكذيب الوشاة
صفه بل أمسك فقد هاجت عليه حرقاتي
جمع الوجد بأشجاني، وضافت أزماتي
هاتها صرقًا، وأغرق في طلاها حسراتي
عوضا عما يؤاتي من هوى أو لا يؤاتي

وفي هذا المقطع الأخير حزن دفين لا تغرقه غير الخمر، وحسرة لاذعة وقدرة نادرة على تأمل الناس «ويلهم يحمون...» ومقدرة على الصياغة المحكمة التي تشي بها الجمل الاعتراضية، وبخاصة في مثل هذا الوزن القصير، مما يؤكد ما

المحنا إليه من قدرة العقاد وركوبه الصعب «غير أن الناس - لا كانوا - وعلموه - وهو لا يعلم . . .» وكيف أن الأولى يضح منها ضيقه الشديد بالخلق، والثانية تيين إلى أى مدى براءة المحبوب، وبغيرهما ينقص المراد نقصاً فاحشاً .

والقصيدة بعامة بها لوحتان : الأولى وصف الخمر، والثانية فى الغزل وكلتاها قريب من قريب، وكل لوحة منهما تتمتع بالصدق الفنى، الذى يسرى فى كل كلمة وحرف بله فى كل بيت، كما تتمتع أيضاً بإحكام الصياغة وبراعة النسخ، واللوحتان - متآزرتين - تقدمان تصوراً دقيقاً لما أراغه الشاعر، واستطاع أن يؤثر فينا وأن يقنعنا بمأساته، ولا نستطيع أن نقدم لوحة على لوحة وإلا قلنا شيئاً آخر، وإن كنا نستطيع فى خلال كل لوحة على حدة أن نقدم بيتاً منها على بيت على صعوبة، فضلاً عن أن تزحزح الأبيات عن مكانها لا شىء وراءه يصنعه الناقد، ووضع الشاعر لها أسد، وهذا الإحكام الذى ألمحنا إليه يقف وراءه، وضع كل كلمة فى مكانها، بحيث نقول شيئاً غير مراد الشاعر، حين نحذف أو نغير المكان .

القصيدة الثالثة هى قصيدة المازنى، وهى دون القصيدتين السالفتين، لأن فيها نظراً إلى تائية الشريف كما أسلفنا، وتجربة القصيدة ليس فيها لذاعة وحرارة، وإنما امتاح الشاعر من ثقافته وذاكرته لا من بكاره الإحساس وحرارته، ولذلك نضحت فى القصيدة الصور التراثية، التى يربطها خيط لغوى تستثيره الكلمة، لاخيط شعورى ينمو بتكامل عناصر الصورة وتآزرها، ومثال هذا الامتداد اللغوى وصفه نفرة المحبوب التى ترتبط بالغزال، فمجرد النفرة أثار فى ذهن الشاعر - لغوياً - صورة الغزال ونفرتة وكثرة وثباته، ومادام هناك غزال نافر فلا بد من صائد، وصائدنا هو الشاعر المعذب بالنفار والصد، ويضاف لهذا الامتداد اللغوى أن الصورة فى ذاتها ممتدة من التراث والذاكرة، يقول المازنى هذا المعنى فى الأبيات التالية :

معرضاً فى غير صد دانيًا غير موات
نافراً وهو قريب وهو جم اللفتات
أتمناه ولكن كيف لى بالأهبات
ضعف الصائد عن ظبي كثير الوثبات

وقبل البيت الأول من أربعة الأبيات المتقدمة، ثمة بيت يحمل صورة أخرى،

هو:

غرس الوجد وأجنى الشوق مرور الجناة

والشاعر لا ينسى هذه الصورة رغم ما عوقتها أبياته الأربعة، فيعود ليتذكر بعد حديثه عن الظبي غرس الوجد وجنى الشوق، فيقول:

لقطفناه، لو ان الحسن داني الثمرات

وهذا البيت لو قفز أربعة أبيات من أمامه لكان له وضعه حيث يكون. ولكن الفكره التي تحملها القصيدة - رغم ضعفها وعدم تماسكها وعدم حرارتها - فكرة الشكوى التي هي باب كبير في الشعر المازني - أو في الشعر عمومًا - لأن قصيدة الشعر شكوى دائمة من نقص الوجود، الذي يقع عليه الشعراء، حنين غامض ملح لطلب الكمال، وهذه الفكرة قد خلصت لها بعض أبيات المازني في هذه القصيدة، واستطاع أن يلبسها ثوبًا من التعبير لا يخلو من جمال تحس من خلاله بالإشفاق على الشاعر، الذي عذبه إخفاقه في ساح الغرام، فركن إلى الشكوى ودعا أصحابه إلى الهناءة مع من أحبوا، ولا يخلو الأمر «في ثنايا ذلك» من آهة مصدورة، ينفثها الشاعر من قلبه الذي هو سبب هذه الإخفاقات لأنه كثير الصبوات، يقول المازني:

أه من قلب إلى الحسن كثير الصبوات
يا صحابا أقصدتهم أعين غير ثقات
يتشاكون غرامًا غير كابي الجمرات
في زمان يقظ الآلام موفور الأذاة
أنا بالشكوى خليق فدعوني وشكاتي
واهناؤا أنتم بقرب من غزال أو مهاة

هذه الفكرة هي التي أمها الشاعر وإليها قصد، وقد خلص له المعنى كما خلص

له التعبير.

وحسبنا فيما تقدم من موازنات أن نعرف أين يقف المازنى بين صديقيه، وأن نعرف معدن شاعريته، وقد استطعنا أن نتبين قامته الفارعة... على قصرها فى الواقع... بين هاتين القامتين اللتين لم تغضا منه، ولم تغط ظلالهما عليه، بل ظل شعره متميزاً يستطيع الدارس أن يدرك ملامحه برغم اندراجه مع زميله فى مدرسة واحدة، وهذا من آيات الأصالة لأن الشاعر لا يحمل أخاه، ولأن الحياة تتسع لأكثر من شاعر يعبر عن وجه من وجوهها المختلفة المتباينة، وإحساس المازنى الصادق، وتعبيره الجيد البليغ؛ مما يؤكد شاعريته الأصيلة فى ديوان الشعر الحديث.

obeikandi.com

«قصائد من المازني»

obeikandi.com

ظماً النفس إلى المعرفة

أحس كأن الدهر عمري وأنى
أقلب طرفي في السماء كطرفه
كلانا على بعد المسافة بيننا
وأقرأ في صحف السموات أسطرا
تخذت فضاء الله مثوى لخاطري
يمر به مرّ البروق وينثني
أعالج سرّاً لا يماط حجاباه
وسعت لغات الريح والبحر خبرة
ولكنه ماخير علمي وكلها
سئمت شرود الفكر في غامض الفضاء
وعادت إليّ النفس مهدودة القوى
تحن إلى ظلّ من الرخو وارف
ومن لى بأن لا ترفع العين لحظها
غرّضتُ بملك واسع لا يحده
أروني قيّدا يعرق الجسم مسّه

أخو مغرق الأرضين بالفيضان
وأرصد ماراعاه قبل زماني
تلاقى على الحياظه القمران
بهن دناً خفاقة اللمعان
ليشرد في الدنيا بغير عنان
وقد جهدته حدة الطيران
ومأربُ قلبي ذلكم وجناني
وكل شهاب لامع الخفقان
ضمومٌ على السرّ المغيّب حاني
وهيض جناحاه من النهضان
تئن من الإسفاف والشولان
وطول جمام رافه وليان
ولا تجتلى في الناس أي هوان
سوى أفق دان وليس بدان
ويضوى كأضلاع على حوان

مراجعة الحب

أخبتُ بعيش على الحالين مذموم
أنفض اليوم منها كف محروم ؟
دون الضلوع وجيبا غير مستوم
إلا عصاه وسمع غير معصوم
وأنت تأبى سوى ظلم وتجذيم
تجفون حتى يثير الظلم منظومي
لارفق فيه ولا يصغى لمظلوم
وهل على الدهر ناج غير محطوم
لابد لى منك مثل الماء للهيم
وتشرق الشمس فى أحناء حيزومي
فداوه باقتراب غير مفصوم
شرابى المهل فى بستان زقوم

لا اليأس مجد ولا الآمال نافعة
يادرة غصت فى لجج الحياة لها
مالى على الحب مستوماً أراحموا
مالى كأنى أعمى لا دليل له
نفسى تأبى لكم إلا طواعية
أحبكم (وتحبونى) فما لكم
إن كنت ذا عنف فالدهر ذو عنف
يأتى الزمان على حبى وحسنكم
كن كيف شئت وفيا أو أخا ملل
فعد إليَّ يعد للعيش رونقه
أنت الطبيب لداء قد بليت به
وذاك أحسن من ليل لبثت به

الإنسان والفرور

أقم وادعاً واصبر على الضيم والأذى
وهبك على الدنيا سخطت وظلمها
بنى آدم ما للفرور رمى بكم
تظنون أن الأرض قد بسطت لكم
وأن النجوم الزهر علقن زينة
فما لكم لاتنظمون نشيرها
فإنك إنسان وجدك آدم
أتملك دفع الظلم والظلم لازم؟
مراميه حتى غدا وهو حاكم
ومن أجلكم تجرى الفمام الروائم
تقرُّ بها الأحاظ وهي هوائم
فيصبح منها حليكم والتمائم؟

سحر الحب

نشادتك إلا كـرّ منك نظائر
لمن تتصبّاه العيون السواحر
فما قرّ لى بال ولا جفّ حاجر
ولارقدت فى الحالتين الخواطر
وقد يخدع النفس الفتى وهو شاعر
لذاذته حتى كأنك طائر
لأجهل ماتطوى عليه الضمائر
كما انتفض المذعور والخطب فاجر
كما حنّ للأهل الغريب المسافر
وأنت عدوى والحبيب المؤازر
وأخر شيء أنت يُجرىه خاطر
وأخليتها فالنفس صحراء غامر
وواها له ما أن أو حن ذاكر
تحمّليه فى الحياة المقادر
يفاجئنا منه رميض وناعر
من الألم الدامى ومما نحاذر
- إذا لامحت عيني - النجوم الزواهر
غذته على الدهر الورود النواضر

أيا ساعة مُلّيت فيها بحسنه
وإنى لأدرى أن فى البعد راحة
ولكننى جربت قربك والنوى
ولا التذ طعم القرب قلبى ولا النوى
وما أنا إلا كالمخادع نفسه
تمر بنا كالحلم قصر طوله
أأهواك أم أقـلاك والله إننى
وإنى لتعمرونى لمراك رجفة
وإنى لتعمرونى لذكرك حنة
فأنت جحيمى فى الحياة وجتّى
وأول شيء أنت يجرى بخاطرى
ملأت شعاب النفس حتى كظظتها
فواها على عهد السلو وطيبه
حقيبة شر ذلك الحب بئس ما
أراه على لذاته ونعيمه
وهل تُشتري اللذات إلا بضعفها
وما مطلبى سحر العيون كأنها
ولانضرة الخد الأسيل كأنما

تهيأً للتقبيل والشوق نائر
ريج وترديد الشفور الدوائر
فؤاداً أناجيه وعقلا أسامر
وأفضى إليه بالأسى وأشاور
وظلت تشاكبه الهوى وتسارر (١)
ففى حيثما سرحت طرفى مقابر (٢)
وأثرتهم بالود والقلب حائر
من الناس إلا من تضم الحفائر
ويخدعنى منهم نصيح وماكر
تُشابه حالى حالهم وتناظر
أغثنى وكن عونى إذا خان ناصر
وما امتلأت مما تحب النواظر
حجاز وقد سُدَّتْ عليّ المصادر
وكن لى فىنى صادق العهد شاكر
أليس لمن يقضى من الناس زائر؟

ولا الشفر إمّا يستدير كأنما
فقد يحرق اللحظ المضى ويخنق الأ
ولكنمّا أبغى إذا نار نائرى
وقلباً إليه أستريح بدخلتى
كما خفقت يوماً على الزهر نحلة
قضيتُ حياتى بين آثار من مضوا
أولئك إخوانى الذين اصطفتهم
فيا بؤس للحى الذى لا يروقه
أخادع نفسى فيهم وأغشها
ومالى شغلٌ فيهم غير أنه
فيا زائراً أفديه بالنفس لو درى
وأدت حياتى فى شبابى مكرها
ولكنمّا بينى وبين مواردى
فعد لى فىنى لست أملك مذهبي
وهبنى إذا ماشئت ميّتاً تزوره

(١) هذا البيت لشاعر إنجليزى لا يحضرنى اسمه .

(٢) يرید الكتب .

الشاعر المحتضر

فتى مزق الحب المبرح قلبه
قضى نحبه كالمزن فضنّ مدامعاً
ولما دنا منه الحمام ورتقت
وكاشفه والعين ينهل ماؤها
وقال وضم الراحتين على يد
«بقيتَ وبلغتَ الذى بت راجيا
سيسقى الردى قلبى عن الحسن سلوةً
ولاعجبُ أن يطفىء الموت غلتى
كتمتكَ حبي خشية الصد والقلبي
بعدت كماضى الأمس عنى غاية
أضرّ بي الكتمان حتى عددتنى
كأنى لم أحمل هواك ولم أبت
كأن قريضى لم تكن أنت سرّه
مضى ما مضى لم أدر ما لذة الهوى
إذا لجّ بي شوقى قنيت حياييا
نجى الصخورُ الصمّ أركب ظهرها
ومابى حب الصخر والريح والدجى
أرى فى أديم الطود عاث برأسه الـ

كما مزق الظلّ الضياءُ أياديا
وخلفن آثاراً لهن بواديا
منيته نادى الصفى المصافيا
بما كان يخفى من هوى ليس خافيا
كساها شأبيب الدموع الجواريا
وإن كنتُ ما أعطيت منك مراديا
فلا بتّ حران الجوانح صاديا
ويصبح داءُ العالمين دوائيا
وحصّته حتى رمى بى المراميا
وأقرب شيءٍ أنت مثوى وثاويا
خليلا من التسريح والوجد خاليا
أخا شغل يغرى بصدري القوافيا
وموحى معانيه العذاب البواقيا
ولاذقتها إلا بطرف خياليا
وظلت تباريح النزاع كما هيا
وأفرغ فى أذن الظلام شكاتيا
ولكن حالات لهن كحاليا
خرابٌ وواراه الضباب مثاليا

مشابه تدریها القلوب صوالیا
وڪاد جمود الموت یصبی فؤادیا
لو انی إذا استأویته كان آویا
فیغشی أدانیه ویخطی الأعالیا
ظلال وتكسو الشمس منها النواصیا
وما إن یزیل الموت إلا الدیاجیا
إلى الظل وانظر نورها المترامیا
فؤادی وینسینی طویل عنائیا
ككأس الردى من علة العیش شافیا
لأهجر ظهر الأرض جذلان راضیا
أظن عنائی فاجتویت مقامیا
وقولوا سقى الله القلوب الظوامیا
بقید الردى المحتوم إلا لسانیا
نخال موامیهنّ للجن وادیا
وغذی بذكراها الشجونّ النوامیا
فقد كان یغشی مثلهنّ الفیافیا
وما تحسن الجنان إلا التماویا
قضى عاشقٌ ، أجلى ، العیون الروانیا
سقتها دموع الحب لا الطل ساریا
وألوی بها عصف الرياح سوافیا
فماش خیالا بینهم مترائیا

وفی الظلمة الطخیاء من ظلمة الآسی
إذا اللیل وارانی اطرحت الأمانیا
وماكنت آبی الموت سهلا مذاقه
أرى الموت ظلّ العیش بیسط تحته
ألم تر للأشجار تمتد تحتها ال
فإن تحتطب یوما تولّ ظلّالها
كذاك حیاة الأفضلین فلاتلح
فیا مرحبا بالموت یشلج برده
تموت مع المرء الهموم ولن ترى
ولست على شیء بأسٍ وإننى
وما طال عمرى غیر أن لواعجا
أهاب بنا داعی الردى فترحموا
وقم ودّع الأرضین عنی فإینى
وقل لجال عاریات مخوفة
ألا أطلقى لى صوته والأغانیا
ألم تع عنه جنةٌ عبقریة
وكیف تؤدى ماوعاه سماعها
وقل یاعیون الزهر غضى وأطرقى
لقد كان فى روض الجمال خمیلة
فأعطشتها حتى تصوّح عودها
لقد أفردته نفسه بین قومه

وما كان إلا قوة أهدت بها
فعداد وما يستطيع حملاً لساعة
وما كان إلا كالسحابة أفردت
وما كان إلا موجة قد تحطمت
وما غاله موت ولا هاضه كرى
وما مات إلا الموت يافجر فائتلق
ولا غاب إلا فى الطبيعة أمه
فقوموا اسمعوا فى هزمة الرعد صوته
وفى حيثما تبدو لنا القدرة التى

أرى عينك اخضلت وعهدى بدمعها
لقد جل هذا الجفن عن عادة البكى
تعز ولا ترخص لموتى أدمعاً
سواء علينا إن طوتنى حفرتى
بحسبى أنى سوف ألقى حماميا
ولا تحسبوا أنى قنعت تكرمًا
وردد أنفاسا ترددن برهة
فخان الحبيب الصبر فانقض فوقه
فلما رأى برق الأمانى خلبا
رأى ما جناه حسنه ودلاله

حوائل ضعف أمرها ليس باديا
فكيف بأيام حملن لياليا
وقام بها الرعد المجلجل ناعيا
على ساحل للعيش كم بات راغيا
ولكن غدا من حلم ذا العيش صاحيا^(١)
وحول سناء تلك المتلاليا
وقدمًا أعارته الضلوع الحوانيا
وفى سجة الغريد مابات شاديا
دعته فلباها ولم يك عاصيا

عصيا على ريب النوازل آبيا
وقد قل فيض الدمع إن كنت باكيا
أبأة على سوم الغرام غواليا
أبكيتنا أم بات قلبك ساليا
وأنت إلى جنبى تراعى فنائيا
ولكن لأمر ما عقرت الأمانيا
وحشرجن حتى راح ماكان جائيا
ينادى مرمًا لا ييالى المناديا
غدا يستجير الدمع ماكان جاريا
فقال أيا ويحى لقد صرت جانيا

(١) هذه الأبيات للشاعر شلى .

عدتني العوادي لم تكن بي غباوة
سواسية من يقتل النفس عامداً
لبست جمالاً من قريضك خالداً
وسوغتني من طيب ذكراك نفحة
لغلفتني عارى الجمال من التي
أعرض على الماضى البنان تحسرا
لقد كنت أقسو هازلا ولربما
فبئست علي طول التفريق رقة
ستبقى ويمضى من علقت وإن تمت
وأنتك نور تستضيء به الدنيا
وأنتك حسن ليس يبلى وغيره
فيا آخذاً من دهره بنصيبه
وإني لأستسقيك كل دجنة

ولكننى كنت امرأ متغابيا
ومن يدع التبريح يقتل ظاميا
ورحت وقد ألبستك الموت ضافيا
وسوغتك الآلام والدمع قانيا
تزين وكم أمسى وأصبح كاسيا
وهل ينفعنى اليوم عض بنانيا
غدا الهزل بابا للشقاء وداعيا
أحس بها تذكى على الدهر ناريا
فقد يحجب الغيم النجوم الدراريا
وغيرك ظل سوف يصبح فانيا
وديعه دهر يسترد العواريا
هنيئاً لك المجد الذى ليس ذاويا
وإن كنت أحرى أن تبل فؤاديا

عزاء الشعراء

سيعرقتني بأسى ويغلبني ضنى
فلاتنفسوا شعراً على مفوفا
كما نظمت هذى الرياح غمائمها
يهــــددها عما يضم ممزق
لنا الله من قوم نذيب نفوسنا
ويصدر عنا الناس ربا قلوبهم
نذوق شقاء العيش دون نعيمه
ولكنه ما أخطأنا لذادة
إذا هو سرى عن لهيف مفرج
فما نحفل الدنيا إذا جل ظلمها

يغذ بنفسي للبووار ويوجف
له لو علمتهم جانب متخوف
لها من غروب الشمس وشى مطرف
وعما يوشيهها مذيـب ومتلف
ويجنى سوانا مانشور ونقطف
ونحن عطاش بينهم نتلهف
على أننا بالعيش أدري وأعرف
إذا بلغ السؤال القريض المثقف
وأنس قلباً موحشاً يتشوف
ونحن من الأيام والعيش نصف

معاسبة النفس

أضعت شبابي بين حلم وغفلة
ولم يبق لي شيء وقد فاتني الصبا
تعود الغصون الصفرة خضراً وريفة
وليس لما يمضي من العمر مرجع
بلى زاد في علمي وفهمي وفطنتي
ولكن في عزمي فلولا كثيرة
وماخير علم في الحياة وفطنة
كأن لنا عميرين ، عمراً نريقه ،
ألا ليت عمر المرء يرفى كثوبه
وأنفقت عمري في الأمانى الكواذب
وأدبر مثل السهم عن قوس ضارب
مرنحة بعد الذوى والمعاطب
ولافرصة فاتت لها كرايب
وحلمى أن جريت بعض التجارب
تفادرنى في العيش طوع الجواذب
إذا حال ضعف العزم دون المطالب
وآخر مذكوراً لنا في المغايب
ويرقع منه جانب بعد جانب

عبث الحياة وباطلها

إلى شكرى

وتذمُّ طول تصوِّبٍ وتصمُّدٍ
وعليَّ من خلق الهموم الأوغدِ
يخطو إلى الغايات خطو مقيِّدِ
بدمٍ كحاشية الظلام الأريدِ
يحوين مرهوب الصلال الشردِ
فى ظل أيام الشبَّاب الأبردِ
أعمى يظل بما به قد يهتدى
وأزلَّ حيث بُتُّ عَشرَ مُصَفدِ
ولكم قطفُ جَنَى الغصون الميِّدِ
لهفى على ورق المنى المتبددِ
وتساقطت أوراقهن على يدِ
ما إن يبالينا كأن لم نوجدِ
بالعيش أم ماذا يفيد تجلدى
ماتت وأنفاسٌ لها لم تخمدِ
تنسيك ثقل ظلالهن الرُّكِّدِ
ينسى مخاوفه إذا لم تطردِ

تبغى حياة لاثمُّ صروفها
لهفى عليك وقد تخالجتك الأسى
إنا كلينا واجدٌ متجددِ
وكأنما كتب الزمان حياتنا
وكانَّ أسطرها لشدة هولِ ما
قد كنتُ أو من بالحياة وطيبها
فاليوم أكفر بالنعيم كأننى
وأمدٌ للدنيا يدا مبتورة
وأروح أجنى الشوك غير مقلّمِ
عادت ليالينا خريفًا كلها
ماخيرُ عيش صوِّحتُ أفنانه
لكأن من شَمَلَ الوجود بعدله
ماذا يفيد تسخّطى وتبرمى
فاردد على مكروهاها النفس التى
وأقر الهموم إذا حضرن قوافيا
كالطفل يصرخ فى الظلام لعله

الشاعر

يطالع فى سفر جليل المراقم
يجيش بأصداف اللآلى الكرائم
نقى كصوب العارض المتراكم
بها - قطرة فى زاخر متلاطم
يضىء حواشى كل أغبر قاتم
يسح بفيض العقل سح الغمام
أرجن بأنفاس الثغور البواسم
ويركبه ظهر الرياح الهواجم
وتنشده بين الربى والمخارم
وتوحيه سجعاً فى صدور الحمام
يجاوبها قصف الرعود الفواشم
يربهم سبيل الحق بادی المعالم
يرن صداها فى القلوب الكواتم
ويضرم طوراً خامدات العزائم

الجمال ووشاها بنور المباسم
فإن حياتى ملؤه للخياشم
ولكن جفنى كالبطون العقائم
شقيت بجمات العيون الظوالم
ليغنيه عن صوب الدموع السواجم

يرى من ستور الغيب حتى كأنما
له خاطر يقظان ليس بنائم
صقيل كخد الصبح سمح كنوره
وروح كأن الكون من فرط رُحبها
ولحظ كأن البرق ريش سهامه
ولفظ كضوء الشمس فى مثل سيرها
كأن رياضاً فى مثانى حروفه
يحمل خفاق النسيم حديثه
فتجريه فى أفواف كل خميلة
وتلقيه أنداء على الزهر سحرة
وترسله فى الجو صرخة آيس
وتطلعه فجراً على الناس واضحاً
وما الشعر إلا صرخة طال حبسها
يرقرق أنداء العزاء على الأسى

فيا روضة الحب التى ظلها ندى
دعيني أنشق فى ظلالك عرفه
وإن شفائى عبرة لو هرقتها
فإن لم (يغثن) الله فيك بسجعة
وفى الشعر للمفؤود سلوى وإنه

أنشودة الشتاء

وجاء الشتاء مرهوبا
أناجى بها الشأببا
وليس من يسمع التطاربا
يزيد وجه الحياة تطببا
عن نور عيشى وعدت مسلوبا
أكون شيئًا فى الدهر محسوبًا
كما أثار الزمار أنبوبا
أراده ويلنا أعاجيببا
فكل شىء نراه مطلقوبا
يالىت ماشاء كان مقلوبا
فلن ينال الفؤاد مرغوبا

قد ذهب الحول بالربيع وبالصحو
فأى أصواتك القدائم ياقلب
وما انتفاعى باللحن أبعثه
أين ، وهل ينفع اللهيف أسى
غلائل قد نشرتها بيدي
أنا الذى كنت لو تصدقنى
فصيرتنى الخطوب زافرة
أعجب للحظ هل مقسّمه
أجزل من سهمة الرجاء لنا
لكنه قد أحس قدرتنا
غنى أمانٍ وفقر مقدرة

الأزاهير الميتة

أجلُ في حياتي الطرف تبصرُ رسومها
تولت ليالي السعد وهي حميدة
وأصبحت والآمال حولي ذوابلُ
يشاهقها البرق المضيء عشية
وعُرِّيتِ الأفنان من ورق الصبا
فما يتحياها غير غربان شفوة
فأين زهور الحب ياطول حسرتي ؟
وأين أزاهير السرور كأنها
وأين أزاهير القناعة والرضى ؟
وأين زهور الصبر والأمن والمنى ؟
طواها زمان ليس ينشر ما طوى
وعابت فغاب الأمن والخير كله
ثوت حيث لاشمسُ ترد حياتها
أفى كل يوم زهرة لى غضة
تساقطُ أزهارُ الحياة على يدي
كأن وباءَ عاث فيها فلم تكد
ولاخير في عيش إذا كان مجدبا
إذا مرَّ بي يوم حميد ، وربما

دوائرَ عفتها الليالي الدوائرُ
وجاءت ليال بالنحوس مواقر
تساقطُ أوراق لها وأزاهر
وتهفو بها الأرواح وهي ثوائر
وعافت ذَواها الصادحات الطوائر
لهن نعيقُ فوقها متطاير
وأين أزاهير الشباب النواضرُ
تحى الفتى والعمر فينان ناضر
دهتها صروف بالسموم قواطر
زوتها عن العين الهموم الزواخر
فلن تجتليها بالهيف النواظر
ودارت على روق الحياة الدوائر
إليها ولاصوب الغمائم ناصر
تموت فأبكيها ودهرى ساخر
وقلبى مقروحٌ وصدري واغر
تنورٌ حتى أعجلتها المقادر
بواطنه مصفرة والظواهر
تبسمُ في الليل النجوم الزواهر

تلفت حولي باحثًا عن شبيبتي
تقطع أحشائي إذا ما افتقدتها
وبيضاء من زهر العفاف فقدتها
فغيبها قبر الفؤاد وجادها
بكيها عليها حقبلة ثم ردنا
وماعجب أن المنايا علقنها
وكيف أرجى أن تدوم وقد مضت
وإن محالا أن تدوم وحييدة
وإن ضلالاً ندب ماليس راجعاً
سيمضى وإن طال الزمان بى الردى

وأزهارها والدمع فى الجفن حائر
ويضرم أنفاسى الحنين المخامر
وبالرغم منى أن قلبى ذاكر^(١)
بصيبه جفن على الدهر ماطر
إلى الصبر دهر باللممات زاجر
وكر عليها الدهر والدهر جائر
بأندادها عندى المنايا البواكر
وإن سفاها ما تريق المحاجر
وإن عناء مانحن الضمائر
وتذهلنى عما افتقدت المقابر

(١) المراد بيضاء من زهر العفاف ابنة لى ماتت .

زهرة الصخر

أنستنى بالأمل المغرى
أعوذ من ذكرك بالصبر
يانجم أرضى باسماء الهوى
خواطرى السوداء مفروسة
تسودُّ منها الشمس رآد الضحى
مألى أرى كفى مملوءة
لكنها خالية مما عسى
يأجرى النهر إلى البحر
وجامعا بين الثرى والحيا
وناظماً فى خيط هذا الدجى
وواهب الموجة صدر أختها
أطفىء بماء القرب جمر الهوى
لاغرق الساعات فى قبلة
ما ذا ترى يمنعنى قربه
أبيننا بحر يرد الخطفى
أم سُدَّت الأرضُ فلا وجهةُ
أينقضى العمرُ وما صافحت
ولا جرى فى مسمى صوتهُ

يأموحشى بالنظر الشزُر
وأين منى راحة الصبر
تومض فيها أنجم السحر
فى الذهن ، كالسرحة ، والصدر
فالعيش ليلٌ سابغ السنر
من كل ما أكره من دهرى
يحلى مذاق الألم المرّ
ومُسقطِ الطلّ على الزهر
عند التياح الأرض للقطر
عقود هذى الأنجم الزهر
والأغصن الميسر للطير
وزوج الحسن من الشمر
من خده الواضح والثغر
لو أن فى العالم من يدرى
أم تقذف النيران بالجمر
أم حال ظلّ الموت أن نسرى ؟
عيناى عينيه بلا دعر
جرى نمير الماء فى الغدر

فما انتفاعى اليومَ بالعمر ؟
كالزهر فى أكمامه الخضر
بين غمامٍ ؛ دَنفَ الذَّر
تصـرف عنه نظر الفكر
على سبيل الهزءِ والسخر
يازهرةً صيغت من الصخر
كأنما لاشك فى الأمر
فهل ترى أحلم بالهجر
ما أطفأتها عبرة تجرى
مُحلولك المَجول والصدر
حقيبةٌ ملأى من الشر
نفسى فى مثل دجى القبر
أصعدتها تكشف عن سرى
حيناً ولا أقنع بالذكر
آه على ملتـمسى الوعر
تَنفَسُ البلجةُ فى الفجر
فأين محرابى واحرى !
أنفاسك القطرية النـشر
ولا أراه حافلاً أمرى
وذا قضاءً بين الجور
مثلُ ازدحام الرأس بالشعر

ولانتخطيتُ ولو ظلَّه
حتى الكرى يُبديه لى مبهمًا
أو حاجب الشمس إذا ما بدا
كأنما الأحلام أستتاره
أدعوه فى الأحلام حلو الجنى
وقد أناديه ، وما أفترى ،
وربما سميتـه باسمه
إن كنتَ حقًا حلمًا ساحرًا
وبالأسى والحرقـات التى
راح على عطفى ثوبُ الأسى
وآدنى ثقل الهوى إنه
وعَمَقَ الأحزان أنى أرى
ياليت للزفرة روحًا إذا
لا غايةً لى أتعزى بها
هو المنى لو أن لى حيلةً
ياملءَ عيني وفؤادى أما
ذكرك نسكٌ لى تحت الدجى
وأين لا أين بخور الهوى
ياربُّ إنى حافلٌ أمره
لم تقض لى منه سوى حبه
فازدحم القلبُ بأحبابه

فليتنى كان لحيى صدئ
ياشقوة العاشق أمسى وما
وهل يفيد الصب أن يشتكى
كأننى إذ أشكى الهوى
إن هى إلا أسطر قلمها
دفنت فيها كل ما مررى
ما أضال الآمال زاداً وما
من زاحف الأيام فى جيشها
ومن أبى غير المنى حيلة

يُبيتته منى على ذكر
يحسسه المشوق أو يدري
فى شعره طورا وفى الشر
محدث نفسى فى الجهر
يعبرها واضيعة الشعر^(١)
وهل لما يُدفن من نشر
أخونها فى موقف النصر
فبالطلى كَرَّ على البئر
أسلمه الحظ إلى العشر

(١) يعبر أى يقرأ .

الشعر والريح

لمن عرشه نور الجلال الموطّف
ويعرض منى جانباً ليس يكشف
وإن كانت الأضلاع منها تقصف
تقر وأخرى لاتنى تتعجرف
بياديك منها جربياء وحر جف
كذاك لشعري سورة وتألف

صلاتي لربي الصمت في معبد الدجى
ولكننى بالشعر يهضب مقولى
وأسكب فى أذن الزمان مواجدى
فلا تلح شعري إنه الريح مرة
وتلفحنا منها السموم وتارة
وتزفر أحياناً وترقد مثلها

فى الرشاء

قصيدة قلتها فى نفسى على لسان آخر وسألت صاحبا لى أن يرثينى بمثلها

فتى غره فى العيش نظم القصائد
وكان لثيم الطبع نزر المحامد
جبانًا قليل الخير جم الحقائق
وفى ريقها سم الصلال الشوارد
ومات ولم يحفل به غير واحد
وراح على كره الأمانى الشوارد
فأورده النسيان مر الموارد
لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد
وكيف يروى تربه غير واجد
حقيقًا ولا أهل الهموم العوائد
وذاك لعمرى خطب كل البوائد
هدى لمن تطويه سود الملاحد
بلى ربما كان الردى خير ضامد

قضى غير مأسوف عليه من الورى
لقد كان كذابًا وكان منافقا
وكان خبيث النفس كالناس كلهم
وقد كان مجنونًا تضاحكه المنى
فعاش وما واساه فى العيش واحد
وجاء إلى الدنيا على رغم أنفه
أراد خلود الذكر فى الأرض ضلة
ولم يبكه إذ مات إلا أجيرة
فلادمع يروى يوم ولى تراه
فلاتندبوه إنه ليس بالأسى
وخلوه للديدان تأكل لحمه
ولانزعجوا الديدان بالندب إنها
وقوما ارقصوا قد فاز بالموت موجه

الضمير

قد أفعل الشيء لا أبغى به أملا
ولا أبالى الورى ماذا يقولونا
همى ضميرى فإن أرضيته فعلى
رأى العباد سلام المستخفياً

الملاح المسخور

أصبحت كالملاح صافح عينه
ملء النواظر من رواء باهر
سحرته من حور البحار خريدة
حرب النهى فغدا بغير مناصر
فمضى وقد ألهته عما يتقى
من صخرة تردى ويم زاخر
بيناه يرمقها تعالت حوله
لجج على لجج كطود سائر

مخاوف النفس

أقلى الدنا وأخاف فرقتهما
لشقيت بين المقت والزؤد
وأهاب نفسى أن تكشف لى
وأبيت من أمسى على ضممد
ويروغنى يأسى ويفزعنى
ألمى وأفسرق من لقاء غد
ولرب جوهرة ظفرت بها
فنفضت منها كف مرتعد
ورجعت أنظر هل بها أثر
منها يظل يهيض من جلدى

خُصَادُ عَيْشٍ

جودتها فيك بل على سور
والعمر عهد الشباب والصغر
بنطق كالجمال مختصر
بمثل سح الغمام الهامر
موصول خيط الرجاء بالذكر
مضناك قد صار ميت الخبر
كالنسر هاضته رعشة الكبر
كأنما قد أصيب بالبهر
يرسل حيران رائد الفكر
لو نال رداً مسائل القدر
مزدهف اللب بين الصور
وأطوى مسافة الهجر
من الدجى فى غلائل السحر
والنوم وفى كل مدة العمر !!
تخطئنا دون شائك الإبر
فكل شىء أراه ذا عمـر
العيش ورد مرثق الصدر
وينطوى فى التراب والمدر

ياحسن واحسرتا على غرر
أبليت فيك الصبا وجدته
ياناطق الحسن من لعاشقه
ياضاحك الثغر من لعابسه
ياناعم البال إن كاسفه
ياساكن النفس إن نائرها
أقعد الهـم عن مراغبه
أنفاسه زفرة مقطعة
يظل فى فحمة الدجى أبدا
كيف سمعت بى إليكم قدمى
ترى تـريه الأحلام عاشقه
يالىتنى فى الكرى أخوض له الغيب
يطلع طيفى كالفجر منفلتا
أقول قد جاءك المعذب فى اليقظة
يازهرة الحسن ما لنفحتها
أليس للوجد والأسى أمد
ياثانى العطف بعض زهوك إن
أهون بشىء يلفسه كفن

لضل باغى الحياة فى الصور
يالين الحسن يا أخوا الحور
تسطو بها أنعم على آخر

أدمية أنت لاحياة بها
لاعجب أن تكون ذا عنف
النفس مثل الحياة معترك

غالت سوانا حوائل العصر
همومه العائدات بالذكر
جمعاء حادى الروحات والبكر
مستقبلا غيره بلا حذر
هر ذراه بالصنفو والكدر
عام بغير الأهوال لم يدر
خلفنى العام غير ذى وطر
ح ولا أستقر من ضجرى
ما أوجع الدمع غير منهمر
وهيهات لا سوى القرر
على الرطيب الرفيف من شجرى
من مدبر بالأذاة منحسر
بعيد الشتاء والمطر
حوافل بالثمار والزهر
أغنى الصبا حسنها عن الدرر

ياسنة غالها الزمان وما
ليت زمانا مضى تودعنا
أو ليت ينسى الفتى حوادثه
يستدبر الحول غير ذاكره
حتى كأن لم يكن ولا طرق الد
خلى غبار الأسى لنا ومضى
مهتئى بالجديد من زمنى
خلفنى متعباً أئن من البر
مغرورق العين غير فائضها
متفضلاً لا أزال ألتمس الشمس
حصاد عيشى الهشيم وأسفى
ذاك فهل لى فى مقبل عوض
ينشر لى لذتى كما ينشر الصيف
فتمرح النفس فى رياض هوى
وتسعد القلب زهرة أنف

حتى ترانى نسيت مدكرى
أرضية يانديم فاقتصر
منطقنا صرخة من الخور
هيهات والحظ جد معتك
كما زعمناه طيب مختبر
رقراقه بالظلام كالجزر
يحبيل لمع الزجاج كالدرر
لبعده أو لحاضر الغير
يُسمع كالشعر غير معتر
لم يُلف إلاه في الدجى الخصر

صورتكم دون سائر البشر
هب آيات حسنك العطر
باني فؤادى وما انقضى وطرى
عود المنى فهو غير ذى ثمر
باناً فقد كان خير مدخرى

هات اسقنى يانديم واطمأى
إن أغمانى الأسى وإن حسنت
أرجعنا صببية مواجدنا
نلتمس النور كل ملتمس
هل كان ما مر من لذائذنا
ينبوع صفو النهار مزدحم
لكنما الوهم صيقل صنع
والمرء أعلى بما مضى نظراً،
لكن صدر الفتى يجيش فما
كما احتبى بالهشيم ذو عدم

ذهنى محراب حسنكم وبه
وخاطرى لاينى برتل كالرا
لأبنين مذبحاً وأجعل قر
إذا خبت ناره وقصت لها
فاقبل فؤادى لحسن وجهك قر

معاهدة غرامية

أيها القارئ :

نحن طلاب جدد ، مبتدعون حتى في سياسة الحب ، فلست بواجد هنا مايتغنى به الناس من الوفاء والبقاء على العهد ، لأنهما مما تأباه الطبيعة . والمرء إذا أحب يبدأ بمخادعة نفسه ، ومغالطة قلبه ، ثم ينتهي بمخادعة غيره .

والوفاء في حياة القلب ، كالثبات على رأى واحد في حياة العقل - كلاهما ليس إلا اعترافاً بالإخفاق ، وإن في الوفاء لو تدبرت لشيئاً في شهوة الملك . وما أكثر مانود أن نزميه لولا خوفنا أن يلتقطه سوانا ، وكثيراً ما يكون الوفاء راجعاً إلى نقص الخيال أو كسل العادة .

ولقد غبر زمن كنا نحسب أنفسنا فيه أوفياء ، ونتوهم مثل ذلك فيمن اتصلت أسبابنا بأسبابهم ، أما الآن فقد أرحنا واسترحنا ، وإليك المعاهدة وديباجتها :

غننى ياربح حتى تغمضى أعين الفكر عساه أن ينام
وامسحى وجهى وتغضين الأسي واطردى عنى شياطين المنام

إنّ في أذنى أعاصير الشتاء وبقلبي وحشة البيد القواء^(١)
تصف العين إذا قلبتُها كل شيء لى فى أسر الشقاء

فكأنى سامع شكوى الكلال فى خرير الماء جياش الضمير
وكأنى ناظرٌ قيد الليلي حول أعضاء الرواسى كالسيور

(١) القواء : الخالية .

يندب الحسن بأشجى منطق
فقضى والحسن لما يخلق

أسمعُ الزهرَ وإن كان قتيلاً
وسمته الريح تنكيلاً وبيلاً

ضجة الموتى وأبناء الجحيم
خطرة الريح على النبت الوشيم

ولقد أسمعُ في الليل البهيم
وكهمس الموت في أذن الكليم

هل لليل اليأس صبح يتظر
كاشفاً عن ناب نضناض ذكر^(١)

ياخيلى أخبرانى واصدقا
مرّبى الدهر عبوساً أزرقا

كل نار سوف يعلوها رماد
أو يكون الجهل شيئاً يستفاد!

هذه كفى على وشك الملل
أه لو أسطيع تصديق الخيال

بك ناراً دونها نار سقر
كأس مهل في عتيقات القدر

هذه كفى على أن أصطلى
وإذا لوحتنى تترع لى

ورياحيني - لو تدرى - الهموم
فنوازيها خبال ووجوم

نقلى السهد عليها والضنى
شجّها الدهر بمحذور النوى

(١) النضناض : الثعبان .

إلى صديق تهنئة بانقضاء عام

أرى العيد أروح من غيره
بما لقي المرء فى كـبره
تطيب وتعرض عن ذكره
فليت الخـوالج فى إثره
تعيش الهموم على قبره
أعاتب دهرى على سخره
يود التبرء من عذره ؟

أهنيك بالعيد لا أنى
كفى فرحاً أن عامامضى
فليت القلوب إذا ما انقضى
أرى الدهر ما فات لايتثنى
يموت الزمان ولكنما
وأقعدنى عنك أنى مريض
فهل أنت قابل عذر أمرءٍ

غداً

وينجاب ليل لم يقدر فيه كوكب
تقاذف ما بيني وبينك سبب
ومالي سوى رمضاتها متقلب
ونجمي ذكرى نورها ليس يلهب
تسود ما يبدو بها وتغيب
أطير غبار العيش عني وأسكب
وظلت دياجيتها معي حيث أذهب
تذرى رمادي كل ربح توثب
لنحسن تقدير الأسي إذ تقطب

غداً تطلع الشمس التي أترقب
وتصبح مني قيد لحظي بعد ما
فيافي زمان ظلت أشبر طولها
مقبلي آمالي وهن لوافح
إذا افترت الدنيا رأيت خواطري
وما أنا بالتسويد مغرى وإنما
ورائي أيام خلعت بياضها
لقد أخدمت جرى الحوادث وانثنت
وماتضحك الدنيا انبساطاً وإنما

أصدق قلبي تارة وأكذب
سلوت - وتلهوي الشجون وتلعب
ويالشقائي حين أرضى وأغضب !
فأعجم ما أعنى وقد كدت أعرب
بنفسي تطفو تارة ثم ترسب

ألفت النوى حتى أراني إذا دنا
وتخدعني الآلام حتى إخالني
ويغضبني حبي وأرضى احتماله
وأجرى لساني مفصحا ثم أنثني
غرائب حالات تظل صروفها

وأنشد ماجودت فيك وتطرب
يقربها القلب المعنى المعذب

غداً تلتقي الأحاظ بعد شرودها
وترنو بعين يلثم الكون لحظها

فمنه لها أهل وسهل ومرحب^(١)
وترخى عنان الشوق طورا وتجذب

وأنشق أنفاسًا بفي حاجة لها
وتمنح كفى راحتك مؤاتيا

أيدوى بأذان الحبيب التطرب^(٢)
أتعطفك الذكرى علينا ونحذب ؟
إذا أطبق الدهر الشفاه وتغرب ؟
إذا ضم جفنى الردى المتوثب ؟

سأشدو ! ومن يدري إذا كف صادق
إذا ماعيينا بالقريض وصوغه
وياليت من يدري أتضحك لاهيا
ويلمع فى عينيك نور عهدته

فياليت شعرى فى غد كيف تغرب

غداً تشرق الشمس التى كنت أرقب

(١) هكذا ورد البيت فى الأصل .

(٢) الفعل دوى يدوى بتشديد الواو .

وصية شاعر

علي مثال وصية هيني، الشاعر الألماني

أسأل القارئ وأعفيه من مؤونة الإجابة : أليجب المرء لعدوه كل سوء ؟
ليس كرهك مصادر شقوتك طبيعياً ؟

ليس هذا من كرم الخلق فى شىء ولا ريب ، ولكن خداع الألفاظ عظيم ، وما أكثر ما نموه بها حتى على أنفسنا ، وإن كان الأصل أن يغالط المرء غيره لانفسه ، ولكنه يألف الرياء والغش والمغالطة حتى تجوز عليه كسواه ، وكرم الخلق صفة لا وجود لها فى هذه الدنيا الدنية ، ولم يمش على ظهر الأرض رجل واحد - عدا الأنبياء والمجانين - يستطيع أن يقول بينه وبين نفسه «أنا كريم الخلق بالمعنى الصحيح» .

وخير للناس أن يتقبلوا وصيتى هذه قبول حسن ، فإنها قطعة من القضاء وما أخلقهم أن يشكروا لى أنى تحريت العدل فى القسمة ، ولم أحرم أحداً من نصيبه ، الذى يستحقه على عكس المألوف فى الوصايا ، منذ كتبت فى هذا العالم ، ولئن شكروا لأزيدنهم !!

ستُرخى على هذى الحياة الستائر
وتطفأ أنوار ويقفر سامرُ
فهل راق هذا الناس قصة عيشى
وماذا بيالى من طوته المقابرُ؟
تركتُ لهم من قبل موتى وصية
نظير التى أوصت بها لى المقادر(١)
وهبت لأعدائى - إذا كان لى عدى -
همومى ومامنه أنا الدهرَ نائر(٢)

(١) كأنما يمكن أن تكتب الوصية بعد الموت !

(٢) هذا الاحتراس فى قولى «إذا كان لى عدى» ليس سببه أنى أعتقد أن ليس لى أعداء ، فإنهم كثر بحمد الله ، وأكثر من اللازم ، ولكنى أحسبهم سيتبرأون من عداوتى متى قرأوا الوصية ، على أنى قطعت عليهم خط الرجعة ، فلم أترك أحداً نون إيصاء بشىء .

وبالدمع لا يرقا ولا هو هامر
وبالعرج المرذولِ والله قادر (١)
وبالسقم حتى تتقيه النواظر
وبالشكل في الأبناء والجد عاثر
وماكنت منه في الحياة أحاذر
إذا متُ لا آسى على من يخامر

وأوصيتُ للمحجوب بالسهد والضمنى
وبالجدرى فى وجهه ليزينه !!
وبالضعف والإملاق واليأس والجوى
وللشيب بالأوجاع فى كل مفصل
وكل سقام قد تركتُ لذى الصبأ
وللناس ألوانَ الشقاءِ وإننى

(١) جرى العرج ببالى لأنى أنا أعرج .

تتبيه : التعليق على عبارات هذه القصيدة بقلم الشاعر نفسه .

وقفة في الحياة

وقفت على الجسر الذي يعبر الوري
تحدثني نفسي بأنى هالك
ويهمس في أذني العزاء أن اتند
فأقدمت هبابا وأحجمت حائرا
إلى الموت والأشباح حولي تخطر
وتوهمني الآمال أنى خالد
فإن بُعيد الموت حظك أوفر
يدافعني عن نفسه ما يراود

إنشاد الشاعر شعره

ورب فتاة يملك الطرف حسنها
كسته من الصوت الأنيق حلاوة
وثابت إليه روحه وتضوعت
فكل فؤادي في نعيم ولذة
ولكنه مكر شهى إلى النهى
وأعذب منه الشعر يتلوه ربه
يحس إذا أجرى اللسان كأنما
كما فرت الأرواح بعد نزائها
تغنى بشعر مسترث فتطرب
فعاد نضير النور يصبي ويعجب
نسائم في بوغائها تنقلب (١)
وقد يمكر الصوت النديّ ويكذب
خفيف مكا شاء الجمال محبب
ويفرغ فيه روحه وهو ينشد
لماضى شجاء كرة وتردد
ومازالت الأمواج ترغى وترعد

(١) البوغاء رائحة الطيب .

كأسُ التسيان

«أدهق الكأس ! بل تمهل ! إن الماضي هو الذى يُظلّ الابتسامات المفقودة التى ستضىء طريقنا مرة أخرى ، فأرق الكأس فلا بد أن أتذكر ! » .

هات اسقنى سلوةً عن الذكّر
أنسىَ بها حاضرى ومؤتَنفى
بها أنيم الشجونَ قاطبةً
هات اسقنيها وخلّ نشوتها
وخذُ كنوز العقول وارم بها
كم غصت فى لجة الحياة فما ف
وكم نفضت اليدين من حجر
فخل كأس العفاء تسلبنى
ماضرنى لوجهلت ما علمت
أو لو نسيت الذى شعرت به
أو لو سلوت الذى كلفت به
أو لو فقدت الذى فرحت به
أثم صوت تعيد نبرته
أثم عين تثير نظرتها
وتنشر اللذة المضيئة لى
نعم لعمرى فى الأرض زينتها

أنسىَ بها ما مضى من العُمُر !
كأنما يُدرجان فى الحُفَرِ
وأتقى الدهرَ كـررةَ الفِكرِ
تمحو الذى فى الفؤاد من صُورِ
من حـالق للرياح والمدر (١)
زت بغير الصخور والحجر
حسبته درة من الدرر
كنزى وتسحو سلاسل الخبر (٢)
نفسى وماقد أفادنى نظرى ؟
فى كبرى الآن أو لدُنْ صغرى ؟
على الذى كان فيه من شكر ؟
وما وجدنا فى حدة الظفر ؟
إلى ذكرى الربيع والزهر ؟
أحلام نفسى فى ريق البكر ؟
حلما من العيش جد مبتكر ؟
من زهر مـونق ومن ثمر (٣)

(١) المدرة : الحمى .

(٢) تسحو : تجرف .

(٣) مونق : معجب .

تخبر نطقًا لمدمن البصر
أسجاعه واستراح للسحر !
يسطو بوقع السجوّ والفتنر (٤) !
النسيم فى أذنّها مع القمر !
بعيدة من منال مهتصر (٥)
أدرت لحظى فى الشىء لم يدر
عزم الشباب الجرىء ذى الأشر (٦)
لشد ما أستجير بالحذر !
عسى وراء الغايات منكدرى (٧)
فى حيث أمضى محشودة الزمر
حتى أراها تطير كالشرر !
بما مضى وانقضى من العصر ؟
مع الصبى سورة من السور
إذا رآنى صببى ذو الطرر
كأننى لم أكنه فى عمرى
فى العيش إلا تشبث الذكر
من مازن آخر على الأثر
تعين صرف الزمان والغير
أستأنف العيش غير منبهر

كأنها لافترار بهجتها
واها لقمريتها إذا اتسقت
واها لسحر فى لحظ نرجسها
واها لأيكاتها إذا همس
لكن أغصانهم يا أسفا
أصبت فى العزم لا الشعور فإن
وإن مددت اليدين خانهما
يذعرنى الشىء كان يجذبنى
أحمل عبئًا من السنين فما
ولى من الذكريات حاشية
فهاتها أذعر الشجون بها
لم لا أبتّ الذى يقبىدىنى
إنى أرانى قد حلت وانتسخت
وصرت غيرى فليس يعرفنى
ولو بدالى لبت أنكره
كأننا اثنان ليس يجمعنا
مات الفتى المازنى ثم أتى
فامح ادكاريه إن ذكرته
وأخلى اليوم من شجاي به

(٥) مصر العود : أماله إليه .

(٧) منكدرى : أى إسراعى .

(٤) السجو : السكون .

(٦) الأشر : البطر .

الفريرة

مرت عشاءً - بى - فتانة
والليل ساجٍ شاحب بدره
فقلت : يا غادة أذكرتني
أمثل هذا الحسن لما يزل
ألم يزل (كويبد) ذا صولة
قالت : ومن كويبد هذا الذى
فقلت : هذا ولد مولع
فتمتت عائدة باسمه
ياحسنها لو أن حسناً يدوم
كأنما أضناه طول الوجوم
آلام عيشٍ نسختها الهموم
فى عالم الشر القديم العميم ؟
يرمى فيدمى كل قلب سليم ؟
تذكره مقتترناً بالكلوم ؟
بصيد أكباد الورى كالغريم !
من كل شيطان خبيث رجيم

يابدر هل أبصرتها موهناً
أم كنت فى ليلة ذاك النعيم
بين ذراعى تعد النجوم ؟
فى شغل عنا بكحل الغيوم ؟

يابدر ما أفشاك رغم الوجوم !

فی جوارها

ولثمتہ .. !

لم أکلمه ، ولكن نظرتی
ساءلته : این أمک ؟
این أمک ؟

وهو یهذی لی ، علی عاداته
مذتولت ، کل یوم
کل یوم

فانثی یسط من وجهی الغضون ،
ولعمری کیف ذاک ؟
کیف ذاک ؟

قلت ، لما مسحت وجهی یداه ،
«أترى تملك حيلة ؟
«أى حيلة ؟
«قال : «ماتعنى بذا یا أبناہ ؟
«قلت : «لاشئء أرتہ
ولثمتہ .. !

هاتف من جانب القبر

جمالک (١) - لاتأسف علیّ ولا نأسی
فإنی ، تحت الأرض ، لا أحفل الحبسا
طوانی الردی عن ناظریک فجاءة
وما كان ظنی قط أن أسکن الرمسا
أرانی الصبی شمسی بعيداً مغيبها
فسرعان ما ولیّ النهار وما أمسى !؟
وكنت سرور العين والأنف والحشى
فأصبحت أوذی العين والأنف والنفسا
ولاتجشم لی الحفاظ ، فإنی ،
وقدمت ، لا أولیک شکرًا ولا حسا
وأدخل إلیک الشمس من کلّ کوة
فما يتملی العیش من یحجب الشمسا
ستسلیک عنی ، کلّ زهراء ناهد
وإن بقیت ذکرای تهمس بی همسا
فما أنت بالباکی علیّ ، وإنما ،
علی فقد ماقد كنت طبت به نفسًا

(١) جمالک أى صبرک .

رفيق

يلازمنى فى جيئنى وذهوبى
رفيق من الماضى أليف شحوب
أقول له «قدمت يا صاح فاحتجب»
فيفتر عما «كان» ثغر حبيب
وماجميل منه تنغيص حاضرى
بأن عليه منه عين رقيب
وقد كان قدمًا «حاضرًا» لايمضه
شريك ، ولايشكو حساب حسيب

ماالفرق

توقلتُ طودًا لم تكن (١) تتوقل
وأصعدت فيه جاهدًا أتقل
خلاءً ، قواءً ، جنةً عبقريةً
تعاوى به طورًا ، وطورًا تجلجل
من اللاء كم صالت وجالت بمثله
عمالقة الدنيا الذين تحملوا (٢)

(١) لم تكن «هى» . (٢) تحملوا ، أى ارتحلوا . وفى الأساطير أن العمالقة كانوا يتقانون بالجبال .

ولم تك تهـواه ، فكنت أروده
وحـيـداً ، ولا أشكو لا أتململ
فكيف غدا من بعدها جد موحش
ولم تك تغشاه معى حين أفعل ؟

فى الفسـطاط

أيا بلدة الفسـطاط ما أنت بلدة
ولكنما ذكرى لمؤتلف الخـفض
طواك قضاء الله فى الأرض حقبة
وأشرك الإنسان نقضاً إلى نقض
خطوط وأنقاض ، كما جاهد الفتى
ليحى ذكرى ، وهى تمعن فى الغمض
خرائب من حولى ، وفى النفس مثلها ،
وأهول منها ، ويل بعضى من بعضى
وكم خلت نفسى بعض أدراس نؤيها
فأقررت حتى كان يفرز عني نبضى
قضيت بها ليلاً طويلاً قصيره
وهل تقصر الليلات من شدة المخض ؟

فوا أسفا . لو ههنا كنت لانشنى
قصيراً على الليل ذو الطول والعرض
لأوحشتنى لما خلت منك رقعتى ،
ولم تؤنسى ذا وحشة فى حشى الأرض !
أسفة للموت ؟ أم أنت ياترى
أراحك منى الله ذو البسط والقبض ؟

الأسى

بكيتهك بالدمع السخين ، ولم أزل
بقلبى ، وإن جفت مآقى ، باكياً
ولست أرى الدنيا التى كنت روحها
وريحانها تأسى عليك ولا ليا
وليس الأسى أن تذرف العين عبرة
يبرد مهواها القلوب الصواليا
ولكنه عطف ، ولهف ، وحسرة ،
وتقليعك الأحلام حمراً دامياً

صورتها

تأملتها حتى تحرك ساكن
من الثفر والعينين والرأس والصدر
أصبح هذا الحسن قبحاً؟ وجيفة؟
بلى! ويسد الأنف من نتنه المزرى!
ويسى صديداً كل ما كان من قوى
وماء شباب مستحير ومن سحر
فيا بؤس للبوغاء يعفر وجهها
ويكحل جفنيها ويلصق بالنحر!
وللدود، يقتات، الليالى، بحسنها
ويتركها كوماً من الأعظم النخر!

شؤم الخيال

أرى رونق الحسنة فى ميمة الصبى
فيوضع بى شؤم الخيال ويُعتق^(١)
ويشهدنيها فى التراب مرمّة
وقد غالها غول الحمام الموفق

(١) الإيضاح والإعناق ضربان من السرعة. والمعنى أنى كلما رأيت حسنة فى ريعان شبابها تخيلتها مينة مدرجة فى قبرها وقد صارت جيفة.

فرغ المؤلف من كتابته فى مارس ١٩٧٤
والحمد لله أولاً وأخيراً